

# تصريح

في هذا العدد المزدوج من مجلة « قصص » نشرنا لأحد الكتاب الشبان ( الاخ بوراوى بوعجينة ) مقالا حول مستقبل القصة التونسية . وقد حاول فيه إعطاء رأيه بكل حرية . وقد آثرنا نشره - لا عملا بحرية النشر فقط - بل سدا لآية ذريعة في عدم نشره . والاخ بوراوى استاذ شاب في المعاهد الثانوية ، عضو نادى القصة ، وكاتب للعديد من المقالات والقصص . وله مجموعة قصصية نامل أن ترى نور النشر في القريب .

ويطرح المقال عدة قضايا منها ما يتصل بالجانب المادى عن القصة في تونس ، ومنها ما يتصل بجوانب أخرى قد تكون أشد خطورة وأهمية من الجانب الذى ذكرناه مثل الرسمية والالتزام ، والتقدمية والرجعية ، والجدية والمجانية ، والمؤسسات ودور النشر ، ووسائل الاعلام والاستغلال والانتهازية مما يتصل قريبا أو بعيدا فى التأثير على مستقبل القصة فى تونس .

ولسنا بصدد الدفاع عن فلان وفلان ، ولا عن هذه او تلك . وإنما الذى نود أن نثيره - بالمناسبة - هو جانب الطرح للقضايا ، وجانب الطرق للتحليل الاستنتاج . كما أن هذا لا يعنى اننا ندعو الى التغاضى عن السلبيات فما تغاضينا عن ذلك ولا سكتنا عن سلبيات حادة صدعنا فيها بالرأى وأمطنا عنها اللثام دون أن نسك مسلك التعميم والمبالغة والمغالطة مما يجعلنا نترك القارئ يأخذ صورة غير انطباقية على ما هو واقع فيكون بعيدا حتى عن استنباط العلاج المناسب ، وإعطاء الدواء الناجع .

لقد دعونا - وما زلنا ندعو - الى تحليل أزمة النشر فى تونس . وهى أزمة لما تصل بعد الى درجة تخفف المشكل القائم ، وما نحسب أنها أزمة متولدة عن

سبب واحد ، ولا أنها نتيجة تقصى من جانب واحد . وما دام الوضع عندنا لا يفرض أن يكون كل شيء خاضعا للتوجيه والالتزام ، وأن تتولى جهة الحكم والتسيير كل المسؤوليات ، ما دمنا لم نكن ذلك النمط فإن علينا ألا نخضع لالتكالية أو كسل . والا نفعل الجانب الاقتصادى الذى يجابه ناشر الكتاب . والا نحسب حسابا للقارئ الذى يكاد يكون معدوما لعدة عوامل منها الازدواجية الثقافية الراححة ، وأمية « المثقف » نتاج الشهادة والوظيفة ، والنظرة الحولاء للثقافة ومردودها .

والكلمة الكلاسيكية « المال قوام الأعمال » هى التى ما تزال سائدة متحكمة . فما العمل اذن . ما دامت السلطة لا تلتزم وما دام التاجر لا يتجشع أو لا يجد ما يشجعه . والنتيجة هذه الشكاوى وتلك الأزمات . هذا التفصى من المسؤولية ، وذلك اللاحاق فى تسليطها على الآخرين أفرادا وجماعات ، حكومة أو مؤسسات .

نعتقد أن المزيد من النقد الذاتى ، ومن الوعي الوطنى هو السبيل الموصل الى بعض ما نصبو اليه على الأقل .

## زوبعة فى الحى

كان الاطفال يتشاجرون فى ذلك اليوم الصيفى . وكان لصياحهم دوى يتناثر عبر الجدران البيضاء بينما تنبع رائحة «الشكشوكة» من بين الثقوب .

الشمس عالية وسط السماء وقد تطايرت بعض العصافير عبرها ، وبينما جلست عجوز يداها مخضبتان بالحناء تطلب بعض المليمات .

السيد - «ك» مربوطه الوردية ، ونظاراته المائية - يمشى بخطوات ثابتة وسط الزقاق وفى يديه الهواء يمشى ويحيى .

البلدية مفقودة . بحث عنها الاطفال حتى يروق لهم اللعب وسط الحى فلم يجدوها . بحث عنها الشبان ، حتى تروق لهم المساءات وسط الحى فلم يجدوها . بحث عنها الشيوخ حتى تهضم الماكل وسط بطونهم فلم يجدوها .

انتصبت المعلقات على جدران الحى : مفقودة . مفقودة .

كانت الريح تقرع رؤوس الاشجار فى الحى العصرى ، وتحدث لقلقة تحت ستائر المغازات الدافئة ، وتؤم الحى العتيق فتزرع البرد فى الاعضاء والكوانين فتتهطل امطار كثيرة ومدوية ، وتجري الانهار فى الازقة ، وتغطس الاقدام الكبيرة والصغيرة ، وتضيق المنازل بساكنيها وقد ارتعشت أسنانهم وانطفأت أعينهم . أما أمالهم فقد هربت لتسكن احياء اخرى .

وفى ذات يوم لم يكن بالصيفى ولا بالربيعى ولا بشتائى ولا بالبارد ولا بالسجن ، حلت بالحى شاحنات ، تغسل الحيطان ، وتعديل من الابواب ، وفجأة حفل الحى ببعض محابس الزهر تركز الى الجدران النظيفة ، فبدأ الحى جميلا فى حلة العيد . وخرج الاطفال بأسمالهم المرقعة يتدافعون بالمناكب . يتفرجون قليلا ، وقد اشتعلت أعينهم ، وهرعت اليهم الآمال قافزة ، فشعروا

بها تطرق الابواب ، تخترق المنازل المصطفة في كآبته ، وتنشر الفرحة في كل ركن من أركان الحي .

وفجأة حل رجلان بيديهما آلة تصوير غريبة ، كبيرة الحجم ، سوداء . تقدم الاطفال والآمال ترقص في الاعين ، وامتدت انظارهم الى تلك الآلة ، وذلك الحي الحافل فجأة .

ثم امتدت أيديهم في شبه دعاء . وكانت التلفزة تصور شريطا تونسيا في حي تونسى ، ورأى الاطفال ان التمثيل غير صحيح ، لم يكن واقعيًا ، فدخل في منطقة التصوير ، وبيده قطعة خبز أخذ يلوكها . اغتاط المخرج فأخرجه من منطقة التصوير بعنف ، لم يفهم .. عاد الى منطقة التصوير والحيز ما زال في يده .. اغتاط المخرج ، واذا بالاطفال يدخلون منطقة التصوير بشبابهم الرثة التي تختلف عن ثياب الممثلين ، وانطلقوا يتراقصون ويغنون أغاني شجية تنفطر لها القلوب .

قاربت الشمس ان تغيب ، وكان بالحي ، بقايا صراع ، كانت محابس الازهار مكسرة ، تكسو الارض . أما الطيور فقد سكنت . والعجوز ذاتا اليدين المحناتين قد ذهبت في سبيلها بجيوبها بعض النقود .

بينما وقف السيد «ك» بجلاية النوم امام النافذة ينظر الى الحي وقد حل به السكون ، كان ليلتها قد أطفأ التلفزة وركن الى التفكير .

**نافلة ذهب**



## أقصر السبل لسباق المسافات الطويلة

بعد متاعب كثيرة كنت أعصر دمة فرح وأودع زمنا كنت مغتبطا بوداعه ،  
وأنا أنظم الى الجماعة أحمل على كتفى حقيبة وعلى فمي بسمة واسعة وأصيح  
من بعيد ملوحا بيدي :

- ها أنا جئتكم يا رفاقي .

بدأ الوجوم على الوجوه . ولم أكد أهدأ حتى ذابت فرحتي وأصابني ما  
أصابهم .

نظر الى احدهم . التقت نظراتنا . ابتسمت اليه . ابتسم الى مرهقا . رويت  
له قصة حياتي طوعا . كنت نشوانا وأنا أواكب أطوارها . اغتنم الفرصة  
وروي لي قصة حياته كئييبا فاستثقلته . تركني ليواصلها مع فتاة استلطفها  
فاستلطفته . انسلخا عني . كان يداعبها وكنت مفتونا بضحكاتها . ضرب  
ركبته وأخرج لها سبعة . ضحكت البنت حتى دمعت عيناها ، وهي ترى  
تكاميش وجهها في مرآة صغيرة . ترهل جسدها وهي تحتضنهم جميعا .  
تفرقت المجموعة في ارجاء البهو الواسع . مكثت مدة وحيدا . مللت وحدتي .  
بحثت فصادفني بنت وحيدة مثلي . استلطفتها فاستلطفتنى نظرت اليها  
فنظرت الى . شبكت اصابعي ونظرت الى الارض . نظرت الى فابتسمت لها  
قهقهت بلا مناسبة . ضربت ركبتي وأخرجت لها سبعة . ضحكت حتى دمعت  
عيناها وهي ترى تكاميش وجهها في حدقتي عيني . وترهل جسدها وهي  
تحتضنهم جميعا . وتفرقت المجموعة في ارجاء البهو فسألتني مكسورة  
الصوت :

- اانت ساحر ؟

بدأ التوتر . اشارات عابرة وقبضات واعدة مهددة . تجمعات صغيرة حبات  
ماء على الزجاج . تتدحرج نحو بعضها . تتجمع في قطرة كبيرة . تتجمع

القطرات الكبيرة فى مساحات كبيرة . تلتحم المساحات الكبيرة فى مساحة  
أوسع . بدأنا نتحرك . كالقطيع تحركنا . أجسامنا وحدها مصدر الحركة . بلا  
وعى كانت الحركة .

قال البعض : انه يوم الحشر . تداحر بعضهم . تزاحم بعضهم . تدافع  
بعضهم . تصاكك بعضهم . تراكل بعضهم . فتداحرنا وتزاحمنا وتدافعنا  
وتصاككننا وتراكلنا فى الساحة الفسيحة التى ليست لها حدود ولا يتحطم  
فيها النظر على أى نوع من انواع الحواجز .

كنا ننتظر . ننتظر ان ينفخ فى الصور . وفجأة تعطلت الحركة . ثم نزلت  
سكينة ثقيلة . وقفنا وقفنا كالكلاب كلنا آذان . كلنا انتباه . وقفنا هكذا  
كالاعمدة . كالاعمدة استقامة واعتدالا . وانتظرنا . طال انتظارنا . ركبنا دوامة  
الحيرة والذهول . ثم تحركنا فى مجاعتنا حسا ومعنى . هزنا الامل كما هزنا اليأس  
وهدهدتنا الطمأنينة كما خضنا الفزع . استبد بنا الخوف بعد صراع عنيف  
حتى خرج فجأة فكان عظيما . هكذا كان عظيما كالالاه . وكالالاه تحرك فانتفضنا  
هلعاً ورعباً . جثا بعضنا . أغمى على بعضنا ، مات بعضنا . تماسك بعضنا .  
لما هدأنا قدم نحونا يتهدى بل يختال . كان عظيما فى جبروته . وقف قبلتنا  
فتجمدنا . فقدنا الحس كما فقدنا النظر . وييد معتدلة وأصبع مستقيم أشار  
الى بعيد . الى مكان نائى . تتبعنا اشارته بنظراتنا الكليلة الواهنة المتطلعة حتى  
آخر الساحة حيث ظهرت بقعة سوداء . طالت اشارته وطال انفعالنا وانتظارنا  
لسماع صوته . ولما نطق هللت الجماهير . مسح التهليل بإشارة من يده فخيم  
صمت . أعاد اشارته وقال قوله واحدة :

— هذا طريقكم .

تساءلنا بصوت جماعى واحد :

— أهذا طريقنا ؟

لم نر معلما لطريق واضحة . تجمدنا كالاصنام تهزنا الحيرة ثم انطلقنا  
مجاذيب وعدونا نحو البقعة السوداء . كل ما هنالك من معالم واضحة وقد  
كانت وجهة اشارته . مشينا سعاة وهرولنا خائفين ثم ركضنا مجانين . وبعد  
زمن قصير وطال بحماس راكبيه وقفنا على سور لم نر له بداية ولا نهاية .  
سور التحمت قمته بزرقة السماء وقد حلقت فوقه النسور والصقور واصوات  
بعض الغربان الناعقة . قدام باب عظيم مظلم وقفنا . باب الخوف ... باب

المجهول ... قدامه وقفنا . كلنا يرفض الدخول من خوخته الضيقة . الفتحة الوحيدة فى هذا البناء الضخم .

تجراً أحدنا وطرقه . لم يتلق رداً . أدخل رأسه فى الظلمة فلم يجد شيئاً يلفت الانتباه . ولج الباب حذراً . غاب فى الظلمة . تقاطر بعضنا فرادى . دلفنا وراءهم جماعات . دخلنا ونجهل المصير . كان همنا المضى قدماً . لا أحد يرى ولا أحد يعي ولا أحد يدرك هدف مسيرته .

كان نفقا طويلا مظلما فيه فقدنا الامل لادراك نهايته قبل نهايتنا . بدأ سيرنا مريحا . ولما ثقلت خطواتنا بدأت متاعبنا . ولما سطع رأس أحدنا سقف النفق بدأ بعضنا ينحنى . بدأ البعض يحس بعسر المسير . بدأ علو المكان ينخفض انقلب بعضنا الى زواحف . رفض بعضنا الانبطاح . قال بعضنا متحديا : « اما ان نسحق السقف واما ان يسحقنا السقف » . الزمن لا يرحم . الافواج الزاحفة لا ترحم . بدأ القوى يدوس من قبله العجز ، لما يموت أحدنا كنا ننشئ له الارض ونردمه حتى لا يعطل المسيرة . كثرت الروائح الكريهة . انتشرت فى كل ارجاء النفق . سقط بعضنا اختناقاً ضحية التلوث والتسمم . الشيب فى الرؤوس واللحي . تناثرت الاسنان . حدث انفجار هائل . تكلمنا عن الحرب . تكلمنا عن القنابل والالغام . اتهم بعضنا البعض الآخر بآبادة الجنس البشرى . وقعت مناوشات . حصلت مضاربات . بدأ القتال بالعصى ثم ، بالسكاكين وانتهى بالرصاص والمفرقات الماحقات . انزوى بعضنا . انكمش بعضنا . استبطل بعضنا . استبسل بعضنا . استشهد بعضنا وكان شيئاً لم يكن . وواصلنا الزحف .

بانت اسلاك نور فى البعيد . تنفسنا فرحا . ولكننا كنا أعجز من أن ندرك النور . زحفنا زحف السلاحف . تدرجنا . دفعتنا أمواج اللاحقين فكنا شيوخا وعجائز . لم نتعرف على بعضنا . بل أنكرنا أنفسنا . بدأنا البحث عن قبورنا لاننا أعجز من أن نخرج من النفق . من بعيد كنا نرى شابا يشير الينا . رجع الينا بعضهم فكنا نسألهم بلهفة :

— كيف أمكنكم الوصول ؟ .

لم نتلق اجابة مقنعة .

أهؤلاء هم الابطال ؟ أولئك الذين يدركون معنى لاقصر السبل لسباق المسافات الطويلة .

محمد الهادى بن صالح



عبد العزيز فاخت

## شجرة الصفصاف

هذه مدرستي . من خلف جدارها تمتد أغصان شجرة الصفصاف ، تطل علينا من عليائها ، وتتفياً بظلها الوارف على جانب من الطريق . هذا بابها . وهذا أنت يا ولدي .. جئت بك اليوم لتطرق الباب الذي طرقت وتعيش تجربتي .. هؤلاء أترابك مشغولون بامتعمهم ، يصحبهم آباؤهم وأنت مزهو بمحفظتك وحذائك اللامع .. تنظر الى وتبتسم .. أنظر اليك .. أنظر الى نفسي وأنا في سنك !..

في مثل هذا اليوم جاء بي جدي الى هنا . لم يكن أبى معنا . كان كل طفل يتعلق بأبيه .. وأنا أحس بالفراغ !.. وكانت أمى تحس بهذا الفراغ وتعانيه ، فتضمنى إليها والعبرة تسيل على خدها ، وأناملها تخلل شعر رأسى :

« متى تكبر يا بنى ، وتكون معلماً مثله ، تحب الاطفال وتحب آباءهم ، فيحبونك كما أحبوه . ويلتفون حولك كما التفوا حوله . وتصنع من حبههم رجالاً كما صنع . فترتوى شجرة الحرية بدمائهم ، وتمتد أغصانها على السهول والجبال . »

وتمسح أمى دمعها ، وهى تتأوه :

« كبر على المستعمر أن تكبر شجرة الحرية ، فامتدت يده الحمراء تغتال الأحرار فى ديارهم ، وتقتحم دارنا وتختطفه !.. »

وتصمت برهة تتأمل نقاط الاستفهام على وجهى ، وتجيبني بنبرة متقطعة :

« حين ذاك كنت رضيعاً . وكان الرعب يملأ دارنا . والفراغ يمتص إحساسنا .. أفرج عن المختطفين وعادوا الى ديارهم ، ولكنه لم يعد . قالوا : فر من السجن ولم يعرف له مقر !... » .



♦ لم يفتح باب المدرسة . الاطفال يتركون آباءهم ، ويلعبون مع بعضهم ..  
ابنى يلتحق بهم ..

.. اللعب معهم ! إننى أحب أن أراك تلعب .. جدى لا يحب اللعب . وأمى لا تحب أن أعصى له أمرا . كانت تقوم بشؤونه ، وتتفانى فى خدمته ، وتستميلنى اليه وتلح على .. : « .. فهو أبوك ، يا ولدى !.. وهو جدك ، فادعه بابا جدى !.. » فيثقل النطق فى فمى ، ويتلعثم لسانى .. فادعوه مرة بابا ومرة جدى .. أشعر بميل نحوه ؛ ولكن شيئا غامضا كان يصرفنى عنه ...!

يراه أطفال الحى فى الشارع وأنا ألعب معهم فيفزعوننى : « أحمد.. أحمد.. جدك جاء !.. » فأختفى خلف أحدهم أختلس النظر من تحت إبطه ، فأرى جدى يقترب .. يمشى ببطء وجسم رفيقى يهتز لضحكة تختنق فى حلقه ثم تنفجر .. فيفر من أمامى !.. ويرانى جدى فأهرب من وجهه عائدا الى أمى فيلحق حائقا وهو يهددنى .. ويسب الفرنسيين ، ويشتم أبى الذى فر من السجن ولم يعد !.. مسكين جدى حين يذكر أبى !.. ومسكينة أمى حين تبكى !.. حار دمعها !.. ينزل على خدها ؛ فينمو الحقد فى قلبى ، وأكره جدى ، وأبغض ما يردده على لسانه !..!

<http://Archivebeta.Sakhrj.com>

♦ الاطفال يلتفون حول ابني يقلبون محفظته ..

.. ارفع محفظتك ! يحق لك أن ترفعها . طوح بها فى الفضاء إن شئت !.. هى أجمل من محافظ أطفال العالم جميعا . وأجمل من محفظة حسن . ومن محفظة خالد . ومن محفظة علي . أنت لا تعرف هذه الاسماء التى نبتت فى حينا . ونمت فى هذه المدرسة . أولائك أترابى يا صديقى العزيز ! كنت ألعب معهم فى الشارع وكانت السماء مغيمة ، تجود علينا من حين لآخر بقطرات لذیذة تنفتح لها أفواهنا ، فيزيدنا طعم المطر بهجة وانسراحا .. كنا فى غمرة المرح ، فدوى الصوت فينا مناديا صديقنا عليا . فالتفتنا !.. كان صاحب الصوت أبا علي يحمل بين يديه صندوقا ويشير لابنه ؛ فيفارقنا ويسعى إليه مغتبطا بما يحمل . زال طعم المطر من أفواهنا . وتشتت شملنا . وعدنا الى منازلنا وعقولنا فى ذلك الصندوق !..؟

لم يمض وقت طويل حتى أقبل جدى على غير عادته ينادينى باسمى ! يحمل بين يديه صندوقا كصندوق علي ! خفق قلبى ! واهتزت جوانحي ! ولم

اطق صبرا فامتدت يدي اليه ، ولم تجرأ على أخذه .. انكمشت أصابعي في انتظار نهى جدى فلم أسمع صوته المزعج ..! ورفعت نظري الى وجهه فهالني لون أسنانه وبعدها عن بعضها ، فكدت لا أصدق أن جدى يضحك كالآخرين ..؟!

وتسرع أمي اليه ، وتأخذ الصندوق من بين يديه ، وتضعه على المائدة ، وترفع غطاءه ؛ فتتفرج أساريرها وهي تخرج منه ثوبا أزرق اللون به أزرار عاجية ، وتقربه الى صدرى وهي تأمرنى بالاستقامة فى وقفتى :  
« ثوب جميل ..! مناسب لقامتك ..! »

وتمدد يدها الى الصندوق ، وتخرج منه حذاء أسود اللون لماعا انزعج له حذائى القديم ..! ولم أدر حتى الآن كيف اندست قدمائى فى الحذاء الجديد وأنا أبدل الخطو فى فناء المنزل ..!

« أحمد .. أحمد .. انظر ..! محفظة جديدة .. هذه حمالتها .. وهذا جيبها .. به كراسات ، ولوحة ، وأقلام .. و .. »  
قاطعتها وأنا أختطف المحفظة من يدها ، وأدس وجهى فى داخلها وهي تجرني من يدي :  
« قبل جدك ! »

وقبل أن أفعل جذبتنى اليها وعانقتنى .. وأطالت النظر فى وجهى ، فخلتها تبكى وجدى يجرنى من كتفى ويربت بكفه على خدى ، فتلتصق شفتائى بها وأنا متشبث بامتعتى الجديدة ..!

فى ذلك اليوم مشيت فى الشارع مع جدى كالاطفال .. مشيت مشية جديدة .. وشعرت بكل من حولى يمشى : الشارع بأطفاله وآبائه ، بجدرانها وأبوابه ، بتربته وأحجاره .. يمشى معى .. وانتهى بنا المشى الى هنا يا طفلى الصغير ..!

♦ باب المدرسة مغلق . الآباء ينتظرون فتحه . انتظر معهم وولدى يلهو مع أترابه .

.. أمام هذا الباب وقفت مع جدى .. لا ظل يقينا حرارة شمس الحريف ..  
 كان ظل هذه الشجرة والاشجار التى تحبو تحتها خيالا فى دماغ مدير  
 المدرسة . كنا واقفين فى العراء والتلاميذ يتقاطرون مع آبائهم ، يرفلون فى  
 ثياب جديدة وبأيديهم محافظ مختلفة الالوان والاشكال ، يسرعون ويركضون  
 كأنهم فى يوم عيد .. قذفنى تدافعهم الى الامام فابتعدت عن جدى ..! لقد ظهر  
 بالباب رجل طويل القامة ، على رأسه قبعة سوداء . ينظر الينا بعينين  
 زرقاوين من خلف نظارته البيضاء ، ويلوح لنا بيد لننصت اليه ويحمل  
 بالاخري ورقة .. أنصت الجميع اليه ، فشرع فى المناداة بلهجة ركيكة ..  
 سمعت أسماء رفاقى .. ينادى الواحد منهم فيتترك أباه ويدخل الى رحاب  
 المدرسة .. امتدت قامتى وتركز ثقل على أطراف أصابعى وصوت الرجل  
 يقرع أذنى :

« .. أهמיד .. بن .. هوسين .. بن .. آلى .. »

لم أبدل الخطو .. تشبثت قدمائى بالارض وجدى يلكنزنى بعصاه :

ARCHIVE

« .. احمد .. احمد .. المدير يناديك ..! »

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وجرنى من يدى ، وأكرهنى على الدخول الى المدرسة .. وفى الفصل عرف  
 اترابى اسم أبى يغرسه المعلم كل يوم فى أذنى ، فأنشغل عنه بالنظر الى  
 حارس المدرسة .. أراه من النافذة يغرس شجرة صغيرة تحت هذا الجدار ..  
 وفى كل يوم يقف بالقرب منها ، يقلع الاعشاب من حولها ، أو ينكش الارض  
 تحتها ، أو يجلب اليها الماء بسطل من حنفية فى طرف الساحة .. وتكبر  
 شجرة الصفصاف وتخضر أوراقها . وتمتد قامتى وينفصل عنى رفاقى .  
 ويأتى الى فصلنا تلاميذ جدد .. أجلس خلفهم فى آخر مقعد .. أسند ظهري الى  
 الجدار .. ألتصق به ..! فيضيق بى ، ويلفظنى الى الخارج ، ويحرمنى من  
 النظر الى شجرتى ..! أمر من هنا فأراها من بعيد ولا أقدر على لمسها .. أقرب  
 الى هذا الجدار فأسمع حفيف أوراقها ، وأرفع رأسى فأرى أغصانها تتعانق  
 وظلى يجذبني الى الوراء فتبتعد .. وتختفى عن ناظرى وذبول الغروب تسحب  
 ظلى .. تسحبني .. ثم تعود بى الى هنا .. الى مدرستى وأنت معى يا أملى  
 الكبير ..!

♦ فتح باب المدرسة فدخل التلاميذ ، وآباؤهم . ودخلت وولدى يتبعنى ..  
وامتدت يدى الى المدير تصافحه الى الكف التى طالما أمسكتها صغيرا .. الى  
كف علي ؛ فنهض من كرسیه وشدني بكلتا يديه وضممني اليه ثم انحنى على  
ابني يقبله ويربت على خده .. وبعد أن سجل اسمه فى دفتر طمأننى عليه ؛  
فصافحته شاكرًا وعدت أدراجى .

وقبل أن أخرج اتجهت الى شجرتى ووضعت يدى على جذعها الغليظ  
وأوراقها تغازل أشعة الشمس ، وتسكب على ظلا ناعما يجذبني الى جذعها  
فالتصق به ... !

وينتزعنى جرس المدرسة فأخرج . وألتفت فأراها تلوح لى بأغصانها  
من بعيد .

عبد العزيز فاخ





## الجسد والعصا

المؤلف : محمد الهادي بن صالح

النوع : رواية قصصية ( قصة طويلة )  
الناشر : دار صفاء للنشر والتوزيع والصحافة  
تاريخ الطبع : جانفي 1980  
الحجم : 21 / 13,5 / 63 ص .

1 - تقديم الكتاب : قسم الكاتب كتابه الى جزئين : الجزء الاول ( 118 ص ) ينقسم بدوره الى مقاطع ( 25 مقطعا ) يمكن ان يرى في امتداد البعض منها وفي تتابع احداثها شبه فصول اما البقية فهي عادة ما تقتصر على حركة واحدة مما يجعل لفظة «مقطع» تنطبق عليها تماما . اما الجزء الثاني ( ص 121 - ص 163 ) فينقسم بدوره الى مقاطع ( 16 مقطعا ) تتركز الحركة فردية في أغلبها .

هذا التقسيم الى جزئين يبرره انقسام الحركة والاحداث الى نوعين :

- حركة الشخصيات في نطاق القرية عند قدوم محلة الباي لجمع الجباية ( الجزء الاول )

- حركة الشخصيات في نطاق المشاكل الاجتماعية للقرية ( الجزء الثاني )

لكن هذا التقسيم الاول الذي يبدو اطاريا لا يبرز كل العلاقات التي تقوم بين الشخصيات اذ ان الاحداث ترتبط بالشخصيات في افكارها وفي تصرفاتها ، وعادة ما يكون ذلك في نطاق نسق تداخلي بين ما هو استرجاعي من الذاكرة تراجع في الزمن ، لذلك يكون من الضروري بالنسبة للقارئ ربط عدة مقاطع فيما بينها رغم ورودها متفرقة في الكتاب لكي يحصل على مجموع الاحداث التي تتعلق بشخصية ما

## 1 - 1 - تلخيص الاحداث : تلخيص الاحداث فى هذه الرواية يكون على

مستويين :

**- مستوى القرية :** هى قرية واحة على مشارف الصحراء ( نفطة ) يعتمد سكانها على الارض ومواردها للعيش ولاقامة علاقات مع الغرباء عن القرية . فالسلطة المتمثلة فى نظام البليك لا تمثل القرية بالنسبة اليها الا موردا اضافيا للجباية صلتها بها استغلالية ترتبط بمواعيد معينة موسمية تتحكم فيها صابة التمور قد تزداد حدة عندما تشتد حاجة الباي الى موارد مالية اضافية . تاتى محلة الباي لجمع الجباية ولا يتم ذلك فى ظروف عادية نظرا لان المحلة تاتى للمرة الثانية خلال نفس السنة . وبعد ان يعبت بشرف نساء القرية وبعد ان يهان رجالها وتقع جريمة قتل فى ظروف غامضة تنصرف المحلة لكى تلتفت القرية الى مشاكلها الذاتية من صراع حول الارض والماء الى احياء نزاعات قديمة حول الارض والمرأة تنتهى بالتكتلات الطائفية التى تعمق الخلافات التى تنتهى بخراب الواحة بعد أن هاجر من بقى من سكانها .

**- مستوى الاشخاص :** هى شخصيات متعددة منها من هو أصيل الواحة قاطن بها مرتبط بغيره بعلاقات قرابة دموية ومنها من هو غريب لاجئ اليها او معتدى عليها . الكل يسعى للبقاء من خلال سعيه الى المتعة او الى الاستحواذ على ما هو لغيره . تتطور هذه الحركة فى اتجاهات متعددة اهمها :

**- اتجاه التهرب من دفع الجباية :** تتكشف هذه الحركة حول مجموعة من رجال القرية يمثلون الملاكة الاهم من غيرهم فى الواحة يحرك هذه المجموعة الطاهر بن حمادى يعاضده فى ذلك البشير بن النورى . تنتهى المجموعة الى اعلان العصيان وترفض دفع الجبى .

**- اتجاه ارواء حاجة جنسية :** يكشف الكاتب هذه الحركة مبرزا تأثير المناخ الحار وحلول القيلولة على تصرف بعض الشخصيات ( رجالا ونساء ) يختار الكاتب نموذجا لها شخصية على بن البشير النورى الفتى الاعزب وحيد أمه المطمئن الى وضعه الاجتماعى المادى نظرا لمركز والده فى القرية . ومن خلال استهتار هذا الفتى تنفجر الاحقاد فى مستوى العائلة لكى تتطور عندما يقع قتله لكى تشمل طائفتين ويتحول الصراع من صراع حول الشرف الى صراع حول ملكية الماء الذى يسقي الواحة .

1 - 2 - خصائص الاحداث : تكون اهمية الاحداث فى هذه الرواية مرتبطة بالشخص الذى تتعلق به او بالمجموعة التى ينتمى اليها والتى تتطور الاحداث ينتهى بنا الى نتيجة اساسية وهى أن ما يحدث فى « الواحة - القرية » قد يكون نموذجاً لما يمكن ان يحدث فى وسط مماثل بمعطيات مماثلة كما يمكن أن يحدث فى زمن مغاير اذا توفرت بعض هذه المعطيات . فلاحداث هنا لم تعرض كى تكون « ظاهرة متفردة » تكمن طرافتها فى تفردھا و غرابتها بل هى عرضت لكى يقع اسقاطها على مجموعة من الشخصيات فى وضعيات تتوفر فيها بعض المعطيات التى ركز عليها الكاتب اهتمام روايته وذلك ما ينتهى بالقارئ الى استنتاج ما يلى :

### - على مستوى المجموعة :

- ظلم الحكام للرعية وجورهم ايدان بخراب البلدان وهى تؤدى حتما الى فكرة أن الحكم المطلق لا يمكن ان يثمر الا الاستبداد . وبين أن هذه الفكرة تنبع من « النظرية الخلدونية فى الحكم والعلاقة بين السلطة والشعب » . وقد اختار الكاتب فترة حكم البايات لوضعها على المحور التاريخى لروايته وحاول أن يجعل لموقف هذه الواحة من أداء الجباية مضاعفة صدى لثورة على بن غدامم التى كانت قد حركت شمال البلاد لذلك كان من الضرورى أن يتوقع الحاكم ثورة الرعية فى مثل هذه القرية وعندما يحدث ذلك يكون الحدث غير متوقع من طرف رجال المحلة وهو حكم على عقم تفكير الباي ان من يمثله - التساكن فى فضاء الواحة تفرضه وضعية منفعة مبنية على استغلال الارض والماء وهما موضوع الصراع الذى يشتد . ويخفت حسب الظروف وكل الصراعات الاخرى مهما ابتدأت بسيطة فهى تنتهى دائما الى هذا المحور الاصلى الذى يخفى كل التكتلات الطائفية والعرقية لذلك يمكن ان ينتظر الانسان دائما بروز الوضعيات الصراعية بين الاتلافات المنفعية التى تقوم حول استغلال مورد ما ( ارض ، ماء ، طاقة الخ .. ) - القرية الواحدة هى فى الاساس نموذج لنمط معين من المجتمع الزراعى الاستهلاكى فهى بذلك صورة لكل القرى الاخرى التى تنتمى الى هذا الصنف من البناء الاقتصادى للمجتمع ثم هى فى نفس الوقت صورة نموذجية للمجتمعات الزراعية القروسطية فى تعاملها مع السلطة وفى تعايش المعتقدات والطبقات الاجتماعية . ومن هذه الزاوية تبرز اهمية دراسة هذه النماذج الاجتماعية لمجتمع يبنى اساسا على طبقية ما فى الوقت الذى يحاول فيه ان يخضع موارد الثروة ( الماء ) لتقسيم الشيع .



**- على مستوى العائلة :** تأخذ العائلة هنا مفهومها الواسع بشكل تصبح فيه كل القرية فى النهاية خاضعة لشبكة من العلاقات الدموية معقدة وغير معترف بها فى العرف الاجتماعى . ومما يساهم فى تعقيد هذه العلاقات الجانب المحضور من الصلات التى تقوم او التى يمكن ان تقوم بين الرجل والمرأة مما ينتهى الى ان ما يضعه المجتمع فى مثل هذه الظروف فى قرية مثل هذه لنفسه من حدود وتقسيمات نسبية لا تعنى أكثر من صورة خاطئة غير مطابقة لعلاقاته الدموية الحقيقية لان تجاوز الحدود تصبح فى مثل هذه الحالة هو القاعدة وكان ذلك نتيجة حتمية للتركيب الطبقي الاستبدادى لهذا اجتماع فالعائلة أبوية السلطة عشائرية الانتماء تتسع لكى تشمل الاعمام فقط أو من ينتمى اليهم بالخضوع لسلطتهم . وهذا التقسيم العشائرى الذى يتمحور حول الرجل ينطلق من السلطة المطلقة التى تكون للرجل فى نطاق العائلة الضيق لكى يقسم مجتمع القرية الى ثنائية تتحزب حول عشيرة الاب واخرى حول عشيرة الام وبذلك يوجد طرفا الصراع ولا يبقى الا ايجاد موضوع الصراع الذى يبرره الكاتب من خلال عملية تصعيدية للاعتداء والجور لكى ينتهى الى القتل ثم النار .

والعائلة فى حيزها الضيق زيادة على انبثائها على سلطة الاب المطلقة فهى تعكس تعدد الزوجات وتكاثر الابناء والخدم والخماسة وهو ما يعقد العلاقات بين مختلف هؤلاء الافراد ويخرج بها من نطاق الروابط الدموية النسبية الى نطاق الروابط الاجتماعية المنفعية .

**- على مستوى الافراد :** الاحداث على مستوى الافراد تطرح نتيجة التركيب العشائرى لمجتمع القرية فهى :

**- احداث فردية** تتعلق بالشخص وتعكس موقفه من تغيراته الفيزيولوجية والفكرية لكى يبدو الفرد من خلالها يسعى لتحقيق رغباته ولتوفير المتعة والنفوذ لنفسه لمجرد ان يعيش قانعا بفضاء القرية .

**- احداث جماعية :** قد تكون عشائرية وقد تكون شاملة لكل سكان القرية تختلف مواقف الافراد منها باختلاف الجنس والسن والرتبة الاجتماعية وباختلاف الحدث نفسه .

تتأتى أهمية الاحداث من تركزها حول الرجل بصورة خاصة . هذا الرجل الذى يبدو فى استقطابه للسلطة بشكل الاب ورئيس العشيرة او عامل الباي



لكى يعكس تبعية اقتصادية تنطلق من رئيس العائلة الى ان تنتهى بالباى نفسه هذا الباي الذى يمكن ان تجوع كل البلاد من اجل ان يسدد ديونه . فلاحداث تنقسم بحسب ارتباطها بالشخصيات الى :

ـ احداث عامة : تخص مجموعة من سكان القرية وتنعكس على هذه المجموعة او على مجموعة أشمل .

ـ احداث خاصة : تتعلق بفرد ولكن تنعكس دائما عند غيره لكى تولد احداثا اخرى يتسع البعض منها لكى يشمل مجموعة من سكان القرية .  
وطبيعة هذه الاحداث الخاصة التى تجد صدى لدى الآخرين تتحول دائما الى وضعية جماعية هى التى نفت عن هذه الرواية صبغة تقسيم الشخصيات الى شخصيات رئيسية واخرى ثانوية .

فالشخصية قد تكون رئيسية فى موقف معين ولكنها لا تكون ابدا محورية تتركز حولها كل الاحداث وردود فعل كل الشخصيات الاخرى . وتكون القرية فقط محورية فهى التى تستقطب حركة مجموعة الشخصيات وهى التى تقف الرواية عند نهايتها عندما يغادرها سكانها نتيجة الصراعات القائمة فيها ومن هنا كان عرض الاحداث مسرحيا تقوم فيه القرية مقام القضاء المسرحى لكى تعرض لوحات من مواقف الشخصيات ومن خلال ذلك يتطور نمطان من الاحداث : الاحداث الجماعية والاحداث الفردية .

I - 3 - تطور الاحداث وارتباطها : تتطور الاحداث فى هذه الرواية على المستويين الفردى والجماعى فى اتجاه التازم الذى ينتهى دائما بتغيير الوضعيات من الاساس . وهى وضعيات انفجارية غير تراجعية .

ـ على المستوى الجماعى : تتازم الوضعية بين باى المحلة وسكان القرية وذلك من خلال موقف العامل الذى اهان الباي وثورة الملاكة لانهم غير قادرين على دفع الجباية مرتين خلال نفس السنة . فموقف الملاكة ينتهى حتما الى العصيان وموقف عامل الباي يتحول من الخضوع والتملق الى النقمة ومحاولة الانتقام . ومن ناحية اخرى تتازم الوضعية بين عشيرتى الاب والام بعد قتل على بن البشير النورى لكى يصل الامر الى قطع ماء الوادى من احد الطرفين لخرمان الطرف الآخر مما يؤدى الى الدخول فى صراع ينتهى بخراب

القرية وهى ايضا وضعية تغير معطيات المشكل من الاساس ولا يمكن التراجع فيها .

– على المستوى الفردى : تتنوع الاحداث الفردية بتنوع الشخصيات وهى عديدة فى هذا المجال وتنحصر اساسا فى علاقة الرجل بالمرأة سواء من خلال علاقة الزواج او من خلال علاقة اتصال المتعة ولعل هذه العلاقة فى شكل الزواج لم تطرح فى القصة الا لغرض تأزيم الاحداث على المستوى العائلى وذلك من خلال طرح مشكل تعدد الزوجات الذى يؤكد السلطة الابوية المطلقة وينفى التوازن الظاهرى الذى يبدو سائدا فى نطاق العائلة .

اما العلاقة التى تقوم بين الرجل والمرأة من اجل المتعة فان ابرز من يمثلها من الطرفين هما على بن البشير النورى و «حيروس» (زينب) . فالاول نموذج مبالغ فيه للرجل الذى توفر له وضعية الرجل فى المجتمع الابوى الوقت والامكانيات لكى ينجرف وراء رغائبه ولو كان ذلك على حساب قوانين هذا المجتمع الذى يجعل من المرأة حرمة تدخل فى حوزة رجال آخرين . ونتيجة لهذا التجاوز وهذه المبالغة يكون على هذا يسعى الى خلق وضعية تأزمية غير تراجعية ايضا تنتهى بقتله فى ظروف غائمة انتقاما لشرف احدى ضحاياه .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

اما « حيروس » تلك المرأة التى لم تجد طريقها الى المتعة فى نطاق علاقة الزواج الشرعية نظرا لموقف الرجل ( أخوها ) الانانى فهى تتحول الى مومس تستقبل زوارها من ناشدى اللذة فى منزلها متجاوزة بذلك قوانين المجتمع . لكن مبالغتها فى نشدان المتعة واستهتارها بقيم المجتمع الذى يضع الرجل فى موقف قوة ينتهيان بها الى القتل ايضا فى ظروف غامضة انتقاما لكرامة الرجل الذى سعت الى وضعه فى موقف سخريه واهانة . وفى قتل « حيروس » تأزيم لوضعية كانت من قبل تعكس توازنا اجتماعيا يخفف من صرامة قانون العلاقات الاجتماعية بين الرجل والمرأة . فمنطق تطور الاحداث موقف اختياري ارتآه الكاتب لكى ينتهى الى الرضعية التأزمية .

هذا المنطق الذى ينتهى بالاحداث دائما الى وضعية تأزمية تغير معطيات الوضع تماما ولا تمكن من التراجع فى المواقف هو الذى يفرض على الكاتب نسقا تصاعديا لتأزيم الاحداث سواء على المستوى الفردى او المستوى الجماعى لذلك كانت الاحداث مرتبطة فيما بينها حسب قانون التبريرية الصراعية التى

ننتهى الى شدة التأزم ثم تنفجر فى شكل ثورة ويكون القتل او التقاتل هو الحل للتأزم ويمثل انفراجه . فترابط الاحداث فردية او جماعية كانت ضرورية لانها تصاعدية فى تطورهما رغم ان البعض منها يبدو احيانا هامشيا بالنسبة للبقية كموقف على بن البشير النورى وراء متعته فى الوقت الذى تعيش فيه القرية كابوس قدوم المحلة لكن هذا الموقف ينتهى الى ان يصبح موظفا بشكل أو بآخر فى الوضعية التأزمية التى تخضع لها المجموعة .

يمكن ان نلاحظ ايضا ان الحداث الهامين فى حياة هذه القرية وهما اعلان العصيان امام المحلة التى قدمت لمضاعفة الجباية والصراع من اجل ماء الوادى الذى يسقى الغابة قد يبدو ان دون ترابط فيما بينهما ولكنهما يعكسان نفسية جماعية تعيش مضايقات عديدة تجد لها متنفسا فى مثل هذه المواقف .

2 - الشخصيات وعلاقاتها : عند الحديث عن العلاقات القائمة بين شخصيات هذه الرواية يكون من الضروري التعرض الى انواع هذه الشخصيات ومميزاتها لكى تتضح بذلك العلاقات التى تربطها الى بعضها .

2 - I - انواع الشخصيات : مما يلفت النظر فى هذه الرواية تعدد الشخصيات بشكل يسمح بتقسيمها الى :

- شخصيات حضورية : وهى تلك التى يكون وجودها فى الرواية من خلال مشاركتها فى الاحداث .

- شخصيات استرجاعية : وهى تلك التى لا يكون لها وجود فى الرواية الا من خلال ما تحكيه عنها الشخصيات الاخرى تكون حركيتها ظاهرة فى زمن مغاير لذلك الذى تتحدث وتتحرك فيه الشخصيات الحضورية .

2 - I - I - الشخصيات الحضورية : يمكن تقسيم الشخصيات الحضورية باعتبار حركيتها او باعتبار انتمائها . فهى من خلال حركيتها اما شخصيات حركية تساهم فى الحدث وتطوره او شخصيات سكونية تصنع الاطار وتخضع للاحداث . أما تقسيم الشخصيات باعتبار انتمائها فهى اما شخصيات تنتمى الى فضاء القرية او شخصيات طارئة عن القرية .



أ - الشخصيات الحركية : وهي اما تنتمي الى فضاء القرية او الى خارج هذا الفضاء وباعتبار حركيتها فهي تنقسم الى :

- شخصيات محورية : تتمركز الاحداث حولها وتتطور في القصة من خلال مواقفها .

- شخصيات هامشية : تتدخل عرضا في الاحداث لكي تربط بين حركة الشخصيات المحورية او لكي تبررها فهي تصعيد للحدث وصدى لمواقف الشخصيات المحورية .

- الشخصيات المحورية : هي محدودة نسبيا وتنحصر في على بن البشير النورى وما تجلبه حركيته من تصعيد للاحداث ومن تأزيم لها . وكذلك في « حيروس » ( او زينب ) التي تتسبب في عدة مشاكل عائلية تنتهى بقتلها في ظروف غامضة . وكل من هاتين الشخصيتين تميز الاحداث المتعلقة بها بحركة فردية تتطور الى ان تبلغ الاحداث مرحلة التآزم وعندها تتوقف حركيتها لكي تتحول في الاحداث الموالية للحركة الى حركة جماعية يشارك فيها عدد ما من شخصيات القرية .

فهذا النمط من الشخصيات تاتي حركتها اولية بالنسبة لغيرها مما يستوجب رد الفعل من الشخصيات الاخرى وذلك ما يخلق في القصة البعد المحورى الذى تكتسبه .

من الشخصيات المحورية الاخرى ذات الاهمية الثانوية بالنسبة لهاتين الشخصيتين نجد باى المحلة الذى يجسم في الواقع حركة مجموعة من الشخصيات المتمركزة حول السلطة وهو من خلال حركته لا يمثل شخصية فردية مستقلة في مواقفها بل يعكس مواقف ما تتخذها السلطة من رعيته عندما تكون في موقف المطالبة بالجباية . وهنا يمكن ان نلاحظ ان « باى المحلة » كغيره من الشخصيات الطارئة عن فضاء القرية يتصرف في المهمة التي أنيطت بعهدته لذلك كانت حركيته تعكس مواقف اكثر مما هي تعكس افعالا شخصية نابعة عن رغبات او حاجات ذاتية .

- الشخصيات الهامشية : وهي متعددة بتعدد الاحداث التي تشارك فيها . وتكون هذه الاحداث حسب الاهمية والنسق الذين عرضت بهما كما يلي :



- تصرفات علي بن البشير النورى الغرامية وما تثيره من فضائح فى القرية
- تصرفات «حىروس» المنافية لتقاليد القرية وما تتسبب فيه من اشارة لغرائز الرجال .
- قدوم المحلة لجمع المجبى فى ظروف لم تنهيا لها القرية ولم تعتدها .
- موت «حىروس» فى ظروف غامضة تثير الكثير من المخاوف والتعاليق .
- موت علي بن البشير النورى مما يتسبب فى تجديد الصراع الدموى بين طائفتين من سكان القرية .

ولعل من اهم هذه الشخصيات الهامشية التى تأتى حركيتها كرد فعل لهذه الاحداث الرئيسية شخصية الطاهر بن حمادى الذى ينتسب الى صنف الملاكة والذى يعمل فى الخفاء على تجميع حركة الملاكة وتصعيدها لمجابهة المحلة بعزم دفع المجبى . ثم تأتى بعده فى الاهمية شخصية العامل الذى سيبرز من خلال تملقه لبأى المحلة ثم ينقلب موقفه عندما تقع اهانتته من طرف البأى امام سكان القرية ومن ناحية أخرى تكون شخصية « مريم » ام علي بن البشير النورى ذات اهمية ثانوية من خلال الاحداث التى تتناول قدوم المحلة وغراميات ابنها ولكنها تصبح هذه الشخصية دافعا للاحداث عندما يقتل ابنها . ورغم ان حركتها ذاتية الا انها تنعكس فى شكل موقف حتمى يبدو وكأنه ضرورى لسياق الاحداث تستجيب له بقية الشخصيات وتمحور حوله كل حركية الصراع التى تضع شطرى القرية فى موقف تناحر .

ب - **الشخصيات السكونية :** الشخصيات السكونية فى هذه الرواية ذات اهمية ثانوية وهى متعددة بتعدد المواقف التى تجمع اكثر من شخصيتين فهى حاضرة لتعائن الاحداث او لتصنع الاطار وغالبا ما يكون حضورها لمجرد ان الحدث يتطلب العديد من المشاهدين . وهى تنتمى الى فضاء القرية كما ان من بينها العديد من جنود المحلة . فهى تتمثل على صعيد العائلة فى مجموعة الخدم التى تتحرك فى المنزل وتتمثل كذلك فى مجموعة الخماسة الذين يتحركون فى الغابة وبين الغابة والمنزل . اما على صعيد القرية فهى تتمثل فى كل أولئك الذين تجمعهم منتديات السمر أو لعبة الحربة أو الاستماع الى ما يقرره بأى المحلة . وتتأى أهمية بعض هذه الشخصيات من دورها فى تبيان الفضاء الاجتماعى الذى تتطور فيه الاحداث .

2 - 1 - 2 : الشخصيات الاسترجاعية : الشخصيات الاسترجاعية في هذه الرواية هي تلك التي تتذكرها احدى الشخصيات في موقف ما اما للذكرى او للعبارة او لصلتها بشخصية اخرى لها وجود مادي في سياق الاحداث لذلك كانت هذه الشخصيات الاسترجاعية تنتمي الى احد الاصناف التالية :

- شخصية بطولية : احسن من يمثل هذا النوع من الشخصيات الاسترجاعية هو الامين بن عمارة ذلك الشاب الذي يتذكره الجميع في القرية عندما تأتي المحلة لجمع الجباية لانه ذات مرة عندما جاءت محلة الباي لمثل هذه الغاية تدخل الامين بن عمارة لكي ينقذ امام الجامع من الجلد لانه لم يكن قادرا على اداء القانون ثم تكفل الامين هذا بدفع الجباية من ماله الخاص للباي مباشرة وتكون كل القرية تحلم بمثل الامين بن عمارة هذا الذي يستطيع ان يخلصها من العذاب الذي تنزله بها محلة الباي وذلك بالتصدي للمحلة وبدفع الجباية من ماله الخاص .

من الشخصيات البطولية الاسطورية الاخرى التي يسترجعها سكان القرية شخصية « الخياري » ذلك الطيف الذي اغتيل خارج القرية بعد ان فر صاحبه لكن صاحبه لم يؤد الامانة لام القليل لذلك بقي طيف الخياري يزرع الفزع في ليالي القرية عندما يطوف في الازقة مرددا لحنا اشتهر به عندما كان حيا يطرب به الناس في الافراح . تتذكر القرية اخیاری عندما تكون تعيش ليالي الخوف بعد ان احتدم الصراع بين الطائفتين واصبح الانسان يخاف من ظله .

من جملة هذه الشخصيات البطولية ايضا شخصية المرغني الذي كان راجعا من تجارة الى القرية مع اخيه عندما تعرض لهما الهامة ويتمكن المرغني من الافلات منهم بعد ان يقتلوا اخاه ويشحن فيهم ويتعقبه الهامة الى القرية ولكنهم لا يظفرون به لذلك يعيشون في الغابة فسادا . تتذكر القرية المرغني عندما يشتد الصراع بين الطائفتين على الماء ويعيث احد الفريقين فسادا في الغابة كما فعل ذلك الهامة من قبل .

- شخصية دينية : وهي عادة ما تكون وليا من اولياء الله الصالحين تلتجئ اليه احدى شخصيات القصة او مجموعة من هذه الشخصيات لحدث له صلة ما به او لشعور بالحاجة الى حمايته وذلك بالتضرع والدعاء املا في مساعدته . ولعل ابرز الامثلة الواردة في هذا السياق يتمثل في شخصية سيدي بو علي سلطان الجريد .



- **شخصية عائلية :** عادة ما تكون في صورة شخص من العائلة في حالة غياب أو وفاة يتذكره أحد الشخصوس لحدث له صلة به أو لشعور بالحاجة الى حمايته أو عطفه . يبرز ذلك في الرواية متمثلا في شخصية العروسي النوري الذي يتذكره اخوه البشير عندما يفكر في تداخل علاقته مع زوجته العروسي وسيرتها التي تلوكها اللسنة وغيبة اخيه التي طالت في السعى وراء التجارة دون جدوى

مثال آخر لهذه الشخصيات الاسترجاعية في نطاق العائلة يتمثل في شخصية «حميدة» اخو زينب او حيروس الذي غاب عن القرية مدة ولما عاد اليها بافكار أخرى اضطهدته القرية بأقاويلها عن سيرة أخيه مما دفعه الى هجرة القرية نهائيا تاركا أخيه في رعاية عمه . تتذكر زينب اخاها وتربط ذكراه بتعنته في رفضه تزويجها من علي بن البشير النوري واضعا شرطا لذلك الزواج المبادلة بابنة البشير النوري .

- **شخصية عاطفية :** يغلب على هذه الشخصيات اقترانها بسيرة علي بن البشير النوري وتبرز الى السطح من خلال استعراضه الباطني لكل النسوة اللاتي ارتبط بهن بعلاقة غرامية في فترة ما من حياته واسترجاع مثل هذه الشخصيات العاطفية فرصة لعلى لكي يربط تيار التفكير الباطني الى واقعه الذي يعيشه كما ان ذلك ايضا تقنية فنية تمكن الكاتب من توسيع المجال الحيوي لمثل هذه الشخصية .

من هنا تبدو الشخصيات الاسترجاعية رغم قصورها عن الحركة في الزمن السياقي الذي تتطور فيه الشخصيات الحضورية مجالا لكشف تفكير هذه الشخصيات ولترصيع ماضيها بمواقف تساعد القارئ على تفهم ردود فعلها الانية ودوافع حركاتها التي تأتيها .

مما يلاحظ ايضا ان هذا التقسيم الدلالي للشخصيات الى شخصيات حضورية واخرى استرجاعية قد لا يكفي لتوضيح كل ابعاد هذه الشخصيات في رواية مثل هذه تقوم على عرض نماذج بشرية متعددة في اطار اجتماعي خاص لذلك نشير الى ان تصنيف الشخصيات يمكن ان يتم ايضا باعتبار وضعها الاجتماعي وكذلك باعتبار جنسها نظرا للنفوت الطبقي في مجتمع هذه القرية ولسيطرة الرجل فيه على المرأة فاعتبار التصنيف الاجتماعي نجد هذه الشخصيات تتوزع حسب التركيب الهرمي للمجتمع انطلاقا من شخصية الخماس او الخادم الذي



يبدو حضوره ثانويا لا اعتبار له. ثم نجد بعد ذلك شخصية الملاك الذي يكتسب قيمته الاجتماعية باعتبار الملكية وعامل السن مما يكسبه حقوقا خاصة على المستوى الاجتماعى وتنعكس هذه القيمة الاجتماعية باعتبار الملكية وعامل السن فى مستوى العائلة فالبشير النورى هو اكبر افراد العائلة سنا وهو المسؤول عن تصرفات ابنائه واخوته والقائم بشؤون زوجة اخيه العروسى المتغيب . ومن وراء دوره الاجتماعى هذا تنعكس الخلفيات الاخرى التى عمده الكاتب الى تضخيمها . فالقيمة الاجتماعية التى تضع البشير النورى فى مركز اجتماعى مرموق فى القرية خاصة عندما تجد الاحداث الكبرى بمناسبة قدوم محلة الباي للجباية او بمناسبة تحزب عرش زوجته الاولى لاختار ابنها الذى وقع قتله . فهذا المركز الاجتماعى الذى يكتسبه البشير النورى هو الذى يمكنه من ان ييسر حمايته على اكثر من زوجة تكون اصغرهن فى سن ابنته وهو نفس المركز الذى يجعله يطلق العنان لغرائزه لى يوقع زوجة اخيه المتغيب وهو ايضا نفس المركز الاجتماعى الذى يحتفى به ابنه لى يعيث فسادا فى كل من تطولها سطوته من الفتيات او المتزوجات دون ان يحدث ذلك الفضيحة التى توقفه فى بداية عبثه .

وبعد شخصية الملاك تأتى فى قمة الهرم الاجتماعى شخصية صاحب السلطة ( الباي او نائبه ) الذى يكون يعكس صورة رئيس العائلة كما يجسمها البشير النورى ولكن ذلك فى محيط اجتماعى اوسع فباى المحلة يستبيح لنفسه ولاعوانه القرية بنسائها وبمواردها وبشروعاتها اعتمادا على التفويض الذى مكنه منه الباي ويكون عامل الباي يسلك فى القرية سياسة الاستحواذ والتصرف المطلق وبذلك تكون كل الشخصيات من خلال هذا الهرم الاجتماعى تتركز بثقلها على القاعدة التى تأتى تحتها مباشرة ضاغطة عليها بما يكسبها اياه مركزها الاجتماعى من سلطة وثروة ونفوذ . وعلى هامش هذا الهرم الاجتماعى تأتى شخصيات اخرى هامشية فى انتمائها للحدث وتمثل اساسا فى امام جامع القرية او فى التاجر الذمى ( الذى عادة ما يكون يهوديا ) او فى الغريب الذى يلتجئ الى القرية للاحتماء بها ( كما هو حال المرغنى ) . ويكون تدخل مثل هذه الشخصيات فى تصعيد الاحداث هامشيا ولا يعكس الا ردود فعل اجتماعية تشير الى ذلك الاختلال الحاصل فى التركيب الاجتماعى كما يتأكد ذلك من خلال العلاقة الخنائية التى تربط اليهودى بزوجة العروسى النورى .

بقي ان نذكر ان تقسيم الشخصيات الى شخصيات نسائية واخرى رجالية لا يخدم الا ناحية واحدة وهي ابراز التفاوت الاجتماعي في نطاق مجتمع القرية وسيطرة الرجل سيطرة تامة مما يجعله يقرن وضعية المرأة دائما بمتعته الخاصة وبالفائدة التي يمكن ان يجنيها اجتماعيا من الزواج من امرأة تنتسب الى رجل ذو مكانة اجتماعية . فحميدة اخو زينب يرفض تزويجها الا مبادلة لكي يضمن لنفسه قرابة المصاهرة من عائلة البشير النوري . والبشير النوري يسعى وراء متعته بالزواج من بنت عمر الصغير التي كانت في سن ابنته متجاهلا بذلك عواطف زوجاته الاخريات وفارق السن الذي يفصله عن الزوجة الجديدة . وعلى بن البشير النوري صورة من والده يعيث بشرف ابنة عمه ولا يفكر في النتائج المنجرة عن ذلك كل ما يرتثيه هو اشباع رغبته . وكذلك باي المحلة وجنوده لا يرون في المرأة الا تلك المتعة التي تتوفر لهم ليلة او اكثر ويتجاهلون ما يمكن ان ينجر عنها من انعكاس اجتماعي ونفسي في مستوى ضحاياهم فبقدر ما يكون حضور الرجل مهيمن في شكل المسيطر الساعي وراء متعته المجتمعي بوضعه الاجتماعي تبرز صورة المرأة باهتة لا تمثل اكثر من خضوع للرجل تلبي رغباته او تتحمل الغصص التي جرعاها اياها . ولعل في هذا الاختلال الذي ينعكس في مستوى العائلة تفسيراً لذلك الاختلال الاجتماعي الذي يجعل رواية « الجسد والعصا » مركزة اساسا على العلاقات غير الشرعية في نطاق مجتمع هذه القرية الواحة مما يدفعنا الى تصنيف كل نساؤها في صنف الفاجرات وكل رجالها في صنف ابناء السفاح ولعل في هذا الاختلال الاجتماعي الذي تعكسه هذه الرواية في مستوى هذه القرية الواحة ما يعكس ايضا الاختلال السياسي الذي يبدي البلاد في صورة مجال واسع للسرقة يغرف منه العمال لكي يأتي الباي بعد ذلك فينهب دفعة واحدة ما يسرفه الاخرون على مراحل .

فهذا البعد الاجتماعي الذي تكتسبه الرواية هو الذي يكسبها اهمية اساسية في نطاق الرواية التونسية وتزداد هذه الاهمية وضوحا من خلال العلاقات التي تربط الشخصيات الى بعضها .

2 - 2 - العلاقات بين الشخصيات : يمكن تقسيم العلاقات بين الشخصيات تقسيما اوليا الى صنفين :

- العلاقات الثنائية : وهي العلاقات التي تقوم بين شخصيتين او بين مجموعتين من الشخصيات وهي عادة ما تكون علاقات مباشرة تساهم في تصعيد



الحدث القصصى او تكسب شخصية ما بعدا اجتماعيا . والامثلة على ذلك متعددة فى نطاق التقسيم الموالى .

– العلاقات المتعددة الاطراف : تقوم بين شخصية ما ومجموعة من الشخصيات فى مجالين حيويين او اكثر . وتمتاز عن العلاقات السابقة بكونها تكسب تلك الشخصية بعدين متقابلين فى نفس الوقت وتساعد على توضيح جانبين مختلفين من ملامح تلك الشخصية . وكمثال لهذه العلاقات المتعددة الاطراف نجد شخصية البشير النورى فهو فى حياته العاطفية يرتبط بزوجه الاخيرة بنت عمر الصغير رغم تفاوت السن بينهما وفى نفس الوقت يوقع بزوجة اخيه الغائب . وهو على المستوى الاجتماعى يتظاهر بالصلاح والتسبيح ورعاية مصلحة العائلة فى الوقت الذى يتجرع فيه مذلة العار منذ الليلة التى قضتها زوجته الصغرى مع رجال المحلة . ثم هو من ناحية اخرى ينحاز الى الطاهر بن حمادى لكى يدبر استشارة الملاكة فى الواحة ضد دفع الجباية .

ومن خلال علاقات البشير النورى بغيره من الشخصيات نستشف ان العلاقات بين الشخصيات تتلون بتلون المجال الذى ترد فيه . وعند تحليلها تتحول هذه العلاقات المتعددة الاطراف الى علاقات ثنائية تقوم بين شخصية واخرى او بين مجموعة واخرى وذلك حسب الزاوية التى ينظر منها اليها لذلك فضلنا تقسيم هذه العلاقات من خلال اطار الارتباط او التعامل الذى ترد فيه مقتصرين على اعتبارها علاقات ثنائية .

2 – 2 – 1 – العلاقات الثنائية الجماعية : تقوم هذه العلاقات فى نطاق هذه الرواية بين مجموعتين من الشخصيات تكون اما منتمية كلها الى فضاء القرية او منها ما هو طارئ عليه . وهى اساسا علاقات صراعية تقوم بين :

– سكان القرية الواحدة ومحلة الباي . الصراع فى هذه الحالة عمودى الاتجاه .

– سكان القرية والمغيرين عنها من الهامة او النمامشة . الصراع فى هذه الحالة افقى الاتجاه .

– عرش من سكان القرية وعرش آخر . الصراع فى هذه الحالة افقى للاتجاه



وموضوع الصراع فى جميع هذه الحالات يتركز اساسا على الثروة الزراعية للقرية او على مواردها ( الماء ) مما يجعل الصراع اقتصاديا فى جميع هذه الحالات . وهذه الوضعية الصراعية تنشأ اما عن وضعية تعاملية كذلك التى تقوم بين الباي والرعية وهى تفرض علاقات هيمنة لكى تتواصل ولكى يتم التعامل او تنشأ عن وضعية تجاورية كذلك التى تقوم بين القرية واجوارها من الاعراب وهى وضعية تفرض علاقات عداً ينشأ ويتواصل مدة احتياج احدى المجموعتين الى الثروة التى فى حوزة الاخرى . نفس الوضعية التجاورية تكون بين طائفتين متصارعتين على الماء مرتبطتين بعلاقات التعايش التى تدعمها فى فترات السلم علاقات النسب ولكن هذه العلاقات تتحول الى علاقات عداً ثم اعتداء وما يفصم شروط التعايش . ومن خلال هذه الرواية كانت العلاقات الثنائية هى التى امتازت بوضع الشخصيات فى اطارها الاجتماعى وهو ما اكسب الرواية بعدها الاجتماعى المقترن بفترة تاريخية معينة . وما هذه العلاقات الجماعية استقطاب للعلاقات الثنائية الفردية التى وظفت لتصعيد تازم الاحداث والانتهاء بها الى الوضعية الصراعية .

2 - 2 - 2 - العلاقات الثنائية الفردية : تقوم هذه العلاقات بين شخصيتين فد تنتميان الى وسطين مختلفين وتكون احدهما على الاقل تنتمى الى فضاء القرية . فى هذه العلاقات الثنائية الفردية يمكن التوصل الى الاصناف التالية :

أ - علاقات الارتباط الدموى : نجدها فى نطاق هذه الرواية تقوم اساسا بين الاء والابناء وقد تتجاوز هذا النطاق العائلى الضيق الى نطاق العائلة الكبرى لكى تعرض علاقات بين الاخوة وابناء الاخوة او بين الاءم وابناء الاخوة . وفى صورتها التى تقوم فيها هذه العلاقات بين الاء والابناء يبدو الاب فى صورة الرجل البعيد عن ابنائه الساعى الى المحافظة على هيمنته ومركزه الاجتماعى فارضا موقفه على الابناء فى حين تكون الام اقرب الى ابنائها من الاب تساعد ابنتها على الوصول الى رغباته حتى وان كانت تتعارض والتقاليد الاجتماعية ( موقف الام مريم من تصرف ابنها على ) . كما تبدو الام اول من يشارك ابنائها فى البحث عن الخروج من المآزق ( موقف ام خديمة لما تفضت الى ان ابنتها حامل ) واول من يجزع عندما يصاب ابنها ( موقف مريم عند قتل ابنها ) .

اما العلاقات بين الاخوة فهى علاقات منفعية دائما تتخذ كدافع لها المنفعة وتأثير الحدث على سمعة العائلة . فالعلاقات بين البشير النورى واخوته رغم

ما فيها من الحماسية الابوية الا انها تتحول الى علاقات منفعة عندما يتغيب العروسى ويترك زوجته فى رعاية اخيه . وكذلك العلاقة بين زينب واخيها حميدة وحتى فى الصورة التى يبرز فيها عبد الحميد مدافعا عن عرض اخته بالثأر لها فان الدافع لتلك الحركة هو المحافظة على سمعة العائلة قبل ان يكون انتقاما شخصيا لها .

**ب - علاقات التعامل اليومي :** هذه العلاقات تقوم بين الجنسين وبين الطبقات الاجتماعية فى فضاء القرية انطلاقا من طريقة المعيشة فيها . فهى بين الرجل والمرأة تفرض تقسيما للمهام بين الحركة داخل المنزل وخارجه وبذلك تبرز فى شكل تكامل قد يتضح اكثر فى بعض الرضعات الخاصة كاحتياج البشير النورى الى مال يدفع به ما عليه للجباية فلا يجد فى هذه الحالة الا ثمن العشرين برنسا التى وفرتها زوجته مريم . وبذلك يتمكن البشير النورى مع دفع «القانون» .

اما العلاقات القائمة بين الطبقات والاصناف الاجتماعية فهى ترتكز اساسا على التعامل الطبقي بين الملاك والحماس او بين الملاك والخدام وهى علاقات تبرز صفتى السيطرة / الخضوع بشكل يبدو فيه موقف كل من الطرفين طبيعيا وهى تعكس نفس النمط من العلاقات القائم بين السلطة والرعية .

وتبرز هذه العلاقات ايضا بين الفلاح والتاجر من خلال علاقة التبادل الاقتصادى وهى رغم هامشيتها فى الرواية الا انها تفتح بعدا اجتماعيا فى الارتباط الاقتصادى الذى تخضع له هذه القرية الواحة فى معيشتها اذ ان اقتصادها الزراعى غير مغلق تماما . فمن خلال تجارة التمر توفر الحاجيات الاخرى التى لا تنتجها الواحة .

**ج - علاقات التعامل الظرفى :** وتنعكس هذه العلاقات فى النواحي التالية من حياة الشخصيات :

**- الجانب العاطفى :** وتتركز هذه العلاقات اساسا فى علاقة المتعة التى تجمع بين الرجل والمرأة وهى تنفى كل الفروق الاجتماعية كالعلاقة التى تقوم بين على وسعيدة ابنة الدادة ماوكة الزنجية . كما تنفى ايضا الفروق الدينية كالعلاقة

التي تقوم بين اليهودى وزوجة العروسى النورى وكذلك ايضا فروق السن كما فى حال العلاقة بين على والعمرائية .

وافضل من يمثل فى الرواية علاقات التعامل الطرفى هذه القائمة على الدافع العاطفى هما شخصيتا على بن البشير النورى وحىروس وهى علاقات لا يقرها المجتمع وتبدو كحاجة نفسية لدى المرتبطين بها وكذلك كرد فعل تجاه التزمت الاجتماعى الذى تعيشه القرية .

**- الجانب الاقتصادى :** وتقوم العلاقات فيه على مبادلة او افتكاك ونادرا ما تبدو فى شكل تنازل . فمحلة الباي تاتى القرية فى وضع ظرفى لكى تفتك منها الجباية . والعمرائية ودادة ماوكة وغيرهما من القهر مات تؤديان خدمة لعلى او لغيره من الراغبين فى الزواج او فى المتعة مقابل حفنات تمر او دريهمات وبذلك تكون العملية تبادلية . اما تزويج خديجة من خادمهم بعد ان ظهرت عليها اعراض الحمل فهى عملية تنازل من العائلة مقابل سكوت الخادم عن نشر خبر الفضيحة

**- الجانب الاجتماعى :** تبرز علاقات التعامل الاجتماعى فى الوضعيات الصعبة التى تمر بها المجموعة فى فضاء القرية وخاصة فى حالة الصراع التى يقتتل فيها العرشان من اجل ماء الوادى . ففي هذه الحالة يبدو امام الزاوية انطلاقا من نظرتة الدينية الداعية الى التواصل وبند الشقاق عاملا على التقارب الاجتماعى من اجل خير المجموعة .

كما يبدو التعامل الاجتماعى ايضا فى صورة التحزب التى تجعل سكان القرية يواسون المصاب ويعاضدونه عندما يكون فى حاجة الى ذلك .

**د - علاقات التعامل التاريخى :** وهى التى تقوم بين سكان القرية واوليائها او شخصياتها البطولية الاسطورية فهو تعامل اعتبارى يقوم على الاسترجاع بفرض توظيفه كمبرة او كنموذج او كعامل سلوى . وهو تعامل عمودى يمتد فى الزمن بخلاف الاصناف الثلاثة السابقة من التعامل هى افقية فى نطاق مجتمع القرية وفى حاضرها الذى تعيشه من خلال القصة .

مما يلاحظ ايضا ان الاختصار على استعراض العلاقات الصراعية من خلال العلاقات الجماعية والعلاقات التعاملية من خلال العلاقات الفردية قد فرضته طبيعة العلاقات القائمة بين الشخصيات فى نطاق هذه الرواية لذلك لم نر ضرورة



لاستعراض العلاقات التحكيمية مثلا لانتفاها في الرواية بين الطبقات الاجتماعية ولعدم بروزها في صورة صراعية واضحة .

### 3 - تقييم الكتاب :

3 - I - الموضوع الذي استقطب اهتمام هذا الكتاب هو موقف الانسان الريفي في وسط ريفي معين (واحة) وفي ظروف تاريخية معينة (عهد البايات) من مشاكل يومه ومن السلطة . فمن هذه الزاوية يمكن اعتبار هذا الكتاب ينتمي الى عائلة كتب الرواية التي خصت باهتمامها ارتباط الانسان بالارض من خلال فلاحيتها وما يعكسه ذلك من ردود فعل في مستوى تفكير هذا الانسان وفي تقييمه للعوامل التي تكيف مصيره فرغم ان خدمة الارض لم يبرز في هذا الكتاب كمحور اولى الا ان التركيز على مورد الماء واعتباره عاملا حاسما في تطوير الصراع وفي تغيير مصير المجموعة يفسر كيفية ارتباط الانسان بهذه الارض اذ ان ردم منابع الماء عندما اشتدت الحزازات في القرية وتفرق السكان بعد ان اجتثت عروق النخيل كان العامل الاساسي الذي من خلاله نستشف كيفية لرباط الانسان بهذه القرية الواحة وكيفية خرابها وكذلك امكانية تعميرها عندما تختفي تلك الظروف القاهرة ومن هذه الزاوية تكون رواية « الجسد والعصا » تنتمي الى صنف الروايات التونسية التي حملت مشاكل الانسان الى القارئ وبهذا انضافت الى « الدقلة في غراجينها » للبشير خريف و « التوت المر » (لمحمد العروسي المطوي) و « نصيبي من الافق » لعبد القادر بن الشيخ و « الشجرة » لمحيي الدين خليفة و « واحة بلا ظل » لعمر بن سالم .

ثم كان في وضع احداث هذه الرواية على المحور التاريخي وبالذات خلال فترة البايات التي تفاقمت فيها المشاكل الاجتماعية نتيجة الترفيع في الضرائب ما يدفع الى مقارنتها برواية محيي الدين خليفة « الشجرة » التي ركزت على استغلال غابات الزيتون بالساحل وجور السلطة مما يؤدي الى هجرة الارض .

فانطلاقا من موضوع مثل هذا كان ضرورة ان تبرز المشاكل في صبغة جماعية تعكس ردود فعل المجموعة اكثر مما هي مشاكل فردية نفسية او فكرية .

وباعتبار الوسط الذي تدور فيه الاحداث كانت هذه الرواية تنتمي الى مجموعة الروايات التي تعالج وضع الانسان في منطقة الواحات وهي بذلك

تنضاف الى «الدقلة فى عراجينها» و «التوت المر» و «واحة بلا ظل» . لذلك لم يكن ممكنا لرواية مثل هذه الا ان تبرز فى صبغة اجتماعية تعكس المشاكل التى تعيشها المجموعة التى تتحرك الاحداث بحياتها .

فالرواية اثبتت اذا على محورين أساسيين هما المحور الاجتماعى والمحور التاريخى لكن فى تغليب المحور الاجتماعى على المحور التاريخى ما انقذها من رتابة الرواية التاريخية التى تتطلب شخصية محورية (البطل التاريخى) والمحسنات ( كإيراد علاقة غرامية لكساء الحدث التاريخى بعده الانسانى مثلا كما اعتدنا ذلك فى كل روايات جرجى زيدان او الكسندر دumas ) . وكانت اهمية الكتاب متمجسة فى تلك الصورة الهرمية للمجتمع الذى تنعكس فيه نفس المواقف عندما تتغير الشخصيات أعلى الهرم الطبقي وكانت النتيجة المنتظرة منذ البداية ان ردود فعل الشخصيات مهما كانت متسابقة فى مبرراتها وفى دوافعها الا انها فى النهاية مبرر لاختلال التوازن على المستوى الاجتماعى مما كان يؤدى حتما بكل الاطراف المشاركة فى الاحداث الى الصدام لان الوضعية تازمية من أساسها ولانها قد بلغت حدا من التأزم يكون فيه حتميا الانفجار للبحث عن التوازن من جديد . فمنطق الاحداث وعرضها يتفقان فى معقولية ابنائهما وهو ما جعل الرواية تبدو مكتملة البناء من الوجهة المنطقية .

3 - 2 - تقنية الكتاب : التقطيع الموقفى الذى خضعت له احداث الكتاب ساعد كثيرا الكاتب على فرض انتقائية مناسبة مكنته من تجنب كل المواقف الهامشية من حياة الشخصيات التى يتحدث عنها دون ان يضطر الى ايراد تلك المواقف التى لا تستجيب للضرورة القصوى لذلك كانت كل الاحداث التى اختيرت من حياة الشخصيتين المحورتين على بن البشير النورى او حيروس تعمل على ابراز ما فى مواقف هاتين الشخصيتين من مبالغة تتعارض مع قوانين المجتمع هو الذى يثبت رغم كل ما فيه من عدم توازن وبذلك اعتبرت مثل هاتين الشخصيتين «ظاهرة» اجتماعية تكتسب دلالة اجتماعية يستنتج من خلالها اختلال التوازن المتحدث عنه .

كما ان فى استعمال تيار الذاكرة التراجعى مضافا الى عملية التقطيع ما سمح للكاتب بإيراد المواقف التى يرغب فى التقريب بينها متلاصقة وفى ذلك تقنية

تدفع القارئ الى ان يقارن وضعين متتابعين لكى يسقط النتيجة بعد ذلك على معطيات اخرى تخضع لنفس المسببات

ورغم ان اغلب المواقف الثنائية قد ركزت على صنف معين من العلاقات الاجتماعية (العلاقات التعاملية الظرفية) المنتمية للجانب العاطفى من تصرفات الشخصيات وتفكيرها الا ان ذلك لا يكفى لكى يحجب الموضوع الاوى الذى هو انتهاء مثل تلك العلاقات العاطفية عندما تصبح ظاهرة اجتماعية مبالغ فيها الى بحث ردود فعل قد تكون اعنف من ان تحافظ على التوازن الظاهرى الذى عليه المجتمع لذلك تاتى رغبة فى نفي المسببات فى الوقت الذى تكتسب فيه دلالتها الاجتماعية السياسية الاشمل .

فانطلاقاً من تقنية الاقتطاع الحدتى كان الاقتطاع الزمنى الذى فرض هو ايضا علاقات تقاربية بين شخصيات واحداث لا تنتمى الى نفس الحدث القصصى وبذلك كان فتح مجال واسع للاستعمال الخرافى او الاسطورى البطولى للشخصيات البطولية او الدينية التى يركز عليها التبرير الشعبى فى مثل هذا الوسط الفلاحى المتجنن فى ترابطه باجداد وبالاحداث البطولية من خلال ما يحفظه خياله من تراث .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

وفى عملية الاقتطاع الزمنى او الحدتى ما ينتهى بالكثير من الشخصيات الهامشية الى الاختفاء فى ظروف لا يبررها الكاتب دائما . فكمثال لذلك اغلب العلاقات العاطفية التى كانت تشد على بن البشير النورى الى كل النسوة اللاتى اوقع بهن . هذه العلاقات بقيت من خلال سرد الاحداث مبتورة فى نهايتها لان طبيعة الحدث وتبرير عرضه لم يكونا يلزمان الكاتب بتتبع مصير كل الشخصيات . وكمثال آخر لذلك نجد ان انصراف المحلة قد ذكر عرضا دون ان يجشم الكاتب نفسه صعوبة استعراض التصادم الذى وقع بينها وبين ملاكة الواحة اللذين يرفضون دفع الجباية مضاعفة .

فهذه الانتقائية التى وجهت تأليف مقاطع الكتاب تفتح مجالا واسعا للكاتب لكى يتحرر فى اختياراته عند ترصيع حياة شخصياته بالمواقف التى يختارها كما انها تلزمه دائما باتباع منطق ما ترى ان تقديم الشخصيات او تقديم مواقف من حياتها يجب ان يخضع لموقف التحول ويجب ان يعكس منطق النمو لذلك



كانت الشخصيات نامية فى تطورها الحدثى وكانت الوضعيات التى تربط العديد من الشخصيات تحويلية فى ترابطها من حالة الى اخرى وبذلك كان الزمن متحركا وانتفت الشخصيات الجاهزة . ومما يلاحظ فى خصوص العلاقات التى تشد الشخصيات انها لا تخضع دائما للمنطق الذى يجعل منها شخصيات نموذجية . فعدا التقابلية التى تكون فى موقف الام والاب من الابناء بما تعكسه من عقدة اوديبية مستترة (تبلغ زروتا فى شخصية على الذى يسعى لايقاع زوجة ابيه الصغرى فى شبابه فى الوقت الذى يتمتع فيه بحماية امه) تكون اغلب العلاقات الاخرى غير نموذجية ابتداء من العلاقات التعاملية فى نطاق العائلة ومرورا بالعلاقات التعاملية الظرفية فى نطاق المجتمع حتى الانتهاء الى العلاقات العمودية بين السلطة والمجموعة المحكومة ومن هذا الجانب كانت طرانة هذه الشخصيات وعدم رقابة مواقفها .

قابس فى جانفى 1981

احمد ممو



## سنتصر على الكلاب

- ما تزال المسافة بيننا وبين المدينة طويلة !
- لقد تعبنا والدواب انهكها المسير !.
- أقدامنا تكاد تنفصل !
- اصبر سيأتي الفرج .
- ولكن من المشقة حتى الكلاب سكنت عن النباح !..
- لا تقلق سينتهى كل شيء ...
- ان هذا العناء لا ينتهى الا بانتهاء حياتنا ...
- العطش سيهلكنا ...
- أعرف بثرا عذبة في طريقنا ...
- آه ... لقد كسرت اضلاعى ...
- اسرعوا اليها وانقذوها ...
- فات الاوان ...
- لا يمكن ان نجبرها ...
- سنحاول ...
- لم تكسر اضلاعها فقط ...
- ماذا أيضا ؟
- كسرت عظام الرقبة !..
- هذا عجيب !..
- أتسقط بيننا دون أن ننتبه الى ذلك ؟..
- لاننا نحلم ...
- بأى شيء ؟؟
- بالراحة والارتواء والنعيم !
- طز !..
- انها ألوية لا غير !..
- ما أغرب أمركم ! تتلهون بالضباب ؟
- لا شيء غير هذا !..

- أنت خاطيء
- هات الرأي الصحيح !..
- أن نحاول تجبير كسورها !..
- ولكنها انتهت !..
- أنت تظن ذلك ...
- كل الناس هم على هذا الرأي ...
- اذن ما العمل ؟
- هو أن ننقذ حياة الباقيين ...
- لا يطيعك أحد !..
- سنحاول جمعهم ...
- حاول قبلك الكثيرون ...
- اذا حذر بنا الخطر سنترك الخلافات ...
- ان القافلة من قبائل شتى ...
- سكوتا ... سكوتا ...
- ماذا ؟
- استمعوا اليه ...
- نحن لا نستمع الى أحد !..
- لا تركبوا رؤوسكم ...
- لا أحد منكم جدير بالقيادة ...
- كلمة واحدة لا غير ...
- لحظة واحدة من فضلكم ...
- انهم يسعون الى مواصلة التخريف ...
- كعادتهم في كل وقت ...
- ما شاء الله ... ما شاء الله !..
- أو تسخر ؟
- لا ...
- ماذا تقصد ؟
- افهم كما يبدو لك !..
- انصحكم بأن لا تطيعوهم ...
- أنت مشاغب !..





ARCHIVE

<http://Archivebeta.Scribd.com>

- لا تستحق ألا الموت ...
- انتهى عهدكم ...
- سنفرض كل شيء بالقوة !!
- لن تستطيعوا ...
- اننا سنستمر ...
- فى ذاكرة التاريخ
- أو تحقد علينا ... ؟
- لا ...
- ما سبب هذا السلوك ؟
- رغبتى فى التطور ...
- نحن لا نريد غير ذلك ...
- كفى حديثا !!
- انسكت عن الكلام أيضا ؟
- مثل سكوتك عن الحق ...
- أحس برغبة فى الثورة ...
- على من ؟
- على نفسى وعلى الناس ...!
- لا تسطيع ...
- انتم لا تستطيعون ...
- لست وحدك تسير فى طريق المدينة ...!
- ولكن الكل لا يحرك ساكنا ...
- لانهم يحترمون حق الجماعة ...
- دعونا من هذا الهراء ..!
- نحن دائما نثرثر ...
- نحن لنتسلى نكث من الكلام ...

- يا قوم ... يا قوم ..
- من المنادى ؟
- عزام ..
- عزام ؟ ...
- هو بعينه ...
- ماذا ألم بك ؟ ..
- العطش ... العطش ...
- لا شك أننا هالكون ...
- لتسر على الاشواك فى صمت ...
- نفذ الصبر ...
- الحرارة تذهب بجلودنا ...
- سنصل عما قريب ...
- لنقتل الكلاب ! ..
- لماذا ؟
- لأنها ستتنقض علينا عندما نخور قوافلنا ...
- أنت واهم ! ..
- لم يصل الخطر الى هذا الحد ...
- انظر ! ..
- ماذا ؟
- ألسنة الكلاب ! ..
- ألسنة الكلاب طالت كثيرا ...! ..
- انه العطش .....
- لنقتل الكلاب ...
- سنرتكب ذنبا فى حقها ...
- ماذا تقول ؟
- إنها تحرسنا ...
- لا حاجة لنا بالحراس ...
- سنحرس أنفسنا ...
- فقدت القوة ...
- ألسنة الكلاب طالت ...



- انظر الى أعينها المحمرة !..
- هي انذار بالويل ...
- سترتوى من دماثنا ...
- يا قوم ... يا قوم ...
- ماذا أيضا ؟
- تسلحوا بالحجارة على الاقل ...
- الحجارة ؟؟
- الكلاب وقفت صفا واحدا !..
- احذروا ...
- ان العطش سيدفعها الى الارتواء من دماثنا !..
- آه !.. بطنى ...
- الكلاب ...
- قتلوها بالهراوات ...
- الحجارة مقطوعة ...
- اصعدوا الى أعلى الربوة ...
- لم تمهلنا الكلاب ...
- سنفنى ... سنفنى اذا لم ندافع عن أنفسنا ..
- عزام ... اين أنت يا عزام ...
- ها أنا أحارب الكلاب ...
- سنفنى ...
- لا ...
- سنغلب على أمرنا ...
- لا ...
- ان انقسامنا يزيد الكلاب علينا قوة ...
- اقتلوا دعاة الانقسام مع الكلاب ...
- آه ... سنفنى ...
- لا ...
- احذروا الغدر ...
- سنبقى رغم الغدر والكلاب ...



## مع قصاص سوري آخر : على جديد

### في : المدينة تلعن أبناءها

● هذا قصاص آخر من سورية الشقيقة - على جديد - في مجموعة قصصه القصيرة بعنوان « المدينة تلعن أبناءها » ، إنتاج المطبعة العربية بحلب - يقع في 79 صفحة في شكل « كتاب الجيب » صمم غلافه الفنان الشاب على حسين علي . والقصص التي احتوى عليها هذا الكتاب هي : اوراق من الايام - من يوميات مجنون عصري - النذر - ليلة من حساب الزمن - حلم الظهيرة - المدينة تلعن أبناءها - بدلة العيد - .

● ان المحلل للقصّة السورية العربية في العصر الحاضر يجد امامه المجال شاسعا للبحث والتقييم ، نتيجة مؤشرات التفجر العديدة التي يجتازها القطر السوري الحبيب - كما يشير لذلك الدكتور حسام الخطيب في بحثه ( نهوض القصة في الخمسينات السورية ) وان كنا في بداية الثمانيات ، فالظواهر الاجتماعية والسياسية والثقافية هي حلقات تؤثر فيها عوامل زمنية عديدة بعضها يمتد الى جذور واختلاجات ، يربطها تأرجح المراحل ككل ، من خلال التطلعات العريضة.. والشباب على جديد - كما يبدو من رؤية صورته على غلاف ( المدينة تلعن أبناءها ) هو أحد التطلعات في شعبنا العربي ، فقد رسم بالغلاف هذه التحية كتعبير عما يختلج في صدر المدينة التي يعيشها ( على جديد ) ونحن معه :

انا .. حبة قمح .  
 اندثر في الارض اياما ، تحت التراب ،  
 ثم ، اخرج للكون بحبات اجمل .  
 اتمتع بالربيع ، بالشمس ، بالهواء ،  
 اتحول الى رغيف ..  
 ادخل بيت فقير ،  
 تقتطعني ايدي اطفاله .  
 تطحنني اضراسهم اللؤلؤية - بفرح -  
 انا لا يهمني ان قطعتنى ايديهم .  
 سعادتي تهمني اكثر ..  
 وليس اسعد ممن يدخل الفرحة . الى قلوب الاطفال .

- على جديد -

● بهذا المدخل وضع - على جديد - اطار قصصه ، كتكملة لعناصرها الطبيعية ، اذ استمد نشأتها من تطور الحياة ، والعلاقات ، مما دفعه الى معالجتها بصورة مباشرة في (اوراق من الايام) التي يشير في مطلعها الى قوله من اقوال - بابلو تيرودا - : «مثلا ان الساعة تتقدم دون ان نسرع ..» الى آخر ما جاء في تلك القولة .

ففي هذه القصة نرى - على جديد - من زاوية الابداعات القصصية قد تردد بين اختياره الاسلوب المباشر في تحديد - العلاقات الانسانية - والحكم عليها اولها - وبين اكتنافه لاسلوب الحاجة النقدية لجملة من تقاليدنا ، وانماط سلوكنا ، وقد زاد من اهمية هذه القصة كتابتها بضمير المخاطب ، اى بتكثيف صلتها بالحوار الباطني ، وتعمد تصنيفه مع (الزمنية) السائدة في الاثر ، في زحمة من الوصف اصبغت عليه نوعا من الفنية فيقول في معاناة يصعب التعبير عنها الا بالقصة :

« فتحت عيني . لاجد جارتى الصبية - صديقتي - تجلس جانب سريري ، كلمتني ، لم اسمع شيئا مما قالت . كان الاضطراب باديا عليها . في الجهة

الآخري من السرير كانت جارتنا (الحولاء) - وكالة الانباء - تقف وتراقبنا معا ابتسمت لى .. ابتسامتها الصفراء تثيرنى حتى الاقياء ، قلت لها شيئا ، امتعضت تململت وقالت شيئا لم افهمه ايضا ثم .. خرجت غاضبة .

نظرت فى عيني جارتى ، لأول مرة ، رأيتهما جميلتين .. كان فيهما عمق لاقرار له .. وكلما غصت فيهما ، كنت اقرأ اشياء جديدة ، اشياء لم اعرفها من قبل ولا افهمها الآن . متثاقلا ، جلست فى السرير سألتها عن سبب فعلتى هذه ، قالت بانى كدت اقتل نفسى .. ماذا اجيب ؟ .. انا لا اعرف لماذا فعلت ذلك ؟ فالحياة مشرقة جميلة .. لماذا ؟ .. ترى هل انا غبى .. ام انى فاشل فقط ، لست ادرى ماذا اقول ؟ .. » .

● بالطبع . يجب ان نفهم مظاهر الحياة الجديدة فى القصة القصيرة ، و « المدينة تلعن ابناءها » مجال آخر لهذا التيار ، فالعلاقات الانسانية التى اهتم بها ( على جديد ) هى - فى نظرى - بداية الاحساس بالتجديد فى نفس هذه القصص ، عن طريق ما يسمى - بالوعى الداخلى - فكما رأينا ان قصة (اوراق من الايام) قد حاولت طرح التوترات داخل هرم العلاقات البشرية فى الكيان الاجتماعى العربى ككل ، فهى محاولة للتغير الفكرى والنفسى داخل ملابسات المجتمع ، والكاتب قد استغل ذلك للوصول الى فضح الانفعالية فى التركيب الاجتماعى العضوى ، بالتركيز على مضمون التجاوب مع الاحداث ، وهزاتها ، بفنية ما تزال حديثة عهد من باب تحليل اكثر لجانب العلاقات ، مع طبيعة الممارسة الفنية شكلا ومضمونا .

● ويبدو هذا الاتجاه من خلال عرض ( يوميات مجنون عصري ) التى تعالج قضية التفاعل مع المحيط ، وعن طريق ما يسمى ( بالغرابة الذاتية ) وفى هذا الاطار تقول القصة : « .. شئ ما فى عيني ، فى رأسى ، فى تكوينى كله . شئ يجعلنى غريبا عن هذا العالم ، كيف استطيع العيش فيه .. انا لا استطيع اكل خبز هؤلاء الناس ، لانه معجون بالرياء ، بالكذب ، بالنفاق ، ولا استطيع شرب ماءهم لانهم لوثوا صفاءه بدماء ضحاياهم الذين افترسوها اشباعا لجشعهم .. وغرائزهم .. معظم الناس يتعدون عن الانسانية .. عن الحضارة .. لقد اضحوا غرباء لا ، لقد اصبحت أنا الغريب عنهم .. ربما اكون مجنونا ايضا . او على الاقل فى مفهومهم .. »



● وتعالج قصة ( النذر ) قضية العادات والامراض الفتاكة التى تنخر المجتمع العربى وهى باختصار ملامح ، وشطحات ، وترانيم ، اعطت لهذا المجتمع خاصيته فى تقبله للشعوذة بسهولة ، وعن طريق التقرب - للزوايا - وغير ذلك من البدع والنحل مما جلب انتباه الكاتب الى استغلال هذا الوضع استغلالا طريفا ، ادرس هذا الحوار - الذى يتكرر فى مجتمعنا - :

« قال له ساخرا :

- واذا لم يكن خروفاك سمينا جدا ، فهل تعتقد بان زوجتك ستحمل ؟  
- ماذا تقول ايها الزنديق الافاك .. انت لا تعرف قدرة الله على امثالك ؟..  
- زنديق ... لماذا يقول الناس بانى زنديق ؟..

قال محدثا نفسه .. وارتسمت امامه صورة عمه ( الحاج خالد ) وهو يصرخ فى وجهه :

- كيف ازوجك ابنتى وانت لا تعرف اصول دينك .. بل لا تعرف الله ولا تقرأ القرآن .. اخرج من بيتى فانا لا ازوج ابنتى لزنديق مثلك ..  
أيقظه صوت الرجل ، البدين :

- شكرا لك ياسيد .. <http://Archivebeta.Sakhrit.com>

- الى اين .. هل انت مقتنع بفعلتك هذه ، صدقنى بان ما تفعله لن يفيدك او يفيد زوجتك هناك الطب .. » .

● لقد بدت قصص ( المدينة تلعن ابناءها ) مختصرة جدا ، حتى من الناحية الفنية ، وربما الموضوع يفرض ذلك على الكاتب ، لكننا نشهد على الساحة القصصية العربية التنافس الشديد الطموح فى ظهور اكثر فنية ، وصياغة للاشكالات الجديدة التى اصبحت تمارس اليوم - تقليدا للتجربة الاوروبية فى جزء منها فقط ، فى هذا الشأن - فالاهتمام بالشكل أصبح موضعا الانتاج القصصى ، وعلى كل فعلى جديد ، حاول ان يجدد النظرة من هذه الزاوية عن طريق الاحساس بالتوتر الاجتماعى والنفسى السائد فى قصصه ...

● ان عملية النقد الحديث ( كما حللها الاستاذ خلدون الشمعة ) فى نظرية : الاجناس الادبية ، تأتى من باب التمييز ، اى افراز العمل الادبى ونوعيته ضمن (منظومة الاجناس الادبية ) اى بان نكف عن اطلاق الاوصاف على

اي عمل ادبى ونترك ( العمل ككل ) اذ نكاد نفرغ من عملية النقد هذه دون دخول صميم الموضوع ..

● قد أ طرح هذا الرأى من جديد وانا من أولئك الذين تشدهم القراءة الأدبية ، والتأملات المختلفة فى فسحة أكثر صدقا وأمانة ، لأن تحليل المجاميع القصصية ليس بالامر الهين ، وعلى كل فالكاتب ( على جديد ) امام هذا العمل يمثل مرحلة الخطوبة مع القصة ولا سيما القصيرة بالذات ، ( حسب ظنى ) فهو كنص يتناول هرم العلاقات لا يموت عند بداية النحت ، بل يواصل عملية الصقل (وهى المرحلة الصعبة فنيا ) وهذا العمل أيضا اثبت ان جيل القصاصيين عندنا بدأ يتخلص من قضايا الماضى لاعداد المستقبل الذى يرفض غمرة الانتاج فى موضوع ( الزواج ) مثلا ، والارهاق العاطفى ، والمراهقة الفكرية - ان صح هذا التعبير - .

● اكتفى بهذا القدر من العرض ، كتعريف بهذا العمل ، مع ما يحمله من آمال وطموحات عريضة للاسلوب الذى توخاه - على جديد - والذى لا يستطيع الحكم عليه اوله ، الا بعد أن يقدم هذا الشاب الزاد الكافى ، وعندها تكون العملية النقدية متكاملة .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

يحي محمد

## عندما عانقت المخلص

وسط الساحة الفسيحة أقف متقطعة الانفاس . تجثو مأساتي قبالتى .  
تقف الاقدار بيننا مستلة خنجر الاضطهاد ، طاعة مصيرى المتشابك ، كشابك  
مزاعمنا الغريبة المقاصد .

المارد يتبعنى بعناد فاجع . يركب ظلى . يمتطينى . ينحشر عنوة فى حنايا  
أضلقى . وهج النار يلفحنى . أوشك على الاحتراق . أتصارع أنا والطيف  
النارى . أعماقى تشهق بسعير أعماقى . زفراتى تتبارى مع زفراتى . المارد  
النارى ما زال يحتسينى . أختنق . « لا بد أن تقتل لا بد أن تحرق . الحرق  
هو أعذب نهاية للثائرين ، المتمردين على نظم الحياة . هلموا نغذ النفس  
بأمتع مشهد عرفه التاريخ العريق .. الحرق .. »

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

الحطب يتكسد فوق الارض المذعورة . أحزاني تمور تحت أكوام الحطب  
تلتقط بقايا وجودى . الوجوه الشاحبة ، الحاقدة تحاصرني من كل جانب ..  
النار بدأت تشتعل فى الاعواد الجافة .. الايدى تمتد نحوى . يهيم بصرى  
يتعقب أمنية رهيبه . الجسم المصلوب يقطر دما . عيناه تبتهلان .  
نناجيان السماء بنشوة صافية الايمان . السنة اللهب تحيط بنا .  
تكتسح جسمه . يبتسم بثقة مطمئنة . تتهاذى الملائكة مزغردة لقدوم الضيف  
الابى . ابتسم والحريق تغمرني شراراته . يرتفع . أرتفع معه . حواجز  
النظريات الناقمة تسقط الواحدة تلو الاخرى . يتقهقر الباغون تجلدتهم خيبة  
،ساعيمهم . تتقدم « العذراء » تحدها الملائكة حاملة شموع السؤدد  
والشموخ . أعانق النخلة . يحتضن جسمى الجريح . يضع اكليل الصبر فوق  
رأسى . يضمنى اليه . تختلط دموعى بدمائى . تمتزج ابتهالاته بأهاتى .  
نرتفع معا ، ونسائم الصبح تفرش دربنا محبة . تتغنى بأسمى لحن عرفته  
البشرية . لحن الفداء والأبد ..



فى زمن الظلم تصبح كل الاقوام يهودا ، والدنس يلطخ رابطة الامتياز التى  
توثق بينهم . الدين .. الرحمة ..



صوت الدفوف يزداد عنفا . يصعق الآذان المرتعشة . يلقي بى فى كهف  
التهتك . الفتاة الزنجية تتمرغ على البلاط المشقوق . جسمها المكتنز يتابع وقع  
الضربات الحامية . شعرها المنفوش يمسح الغبار المتطاير قربها . الزبد ينهمر  
من فمها المعوج كجمل هائج يسكونه عنوة . يختلط بالدماء المنسكبة كسيل  
حارف ، والديوك تتخبط بجانبها تودع الروح . تطوى تحت أجنحتها أحقاب  
خرافات مجهولة .

تلمع سكين بين يدى الشيخ الاحدب وهو يطلعها من النار ليرشقها بين  
حاجبيها الكثيفين . يتلاعب بها كحوى يتلاعب بثعبان فى ميدان عمومي ،  
فى زهو مقيث . يزداد الجسم النصف ميت تصلبا ، والدفوف تزداد صخبا ،  
تختلط بنعيق التنهدات الجبيسة فى سجون القلوب التعسة .

لا أدري هل البشر هنا يسيرون على رؤوسهم أم على أقدامهم ؟ يتنفسون من  
قفاهم أم من أفواههم ؟ يفكرون بعقولهم أم برغائبهم ونديبهم ؟ يبصرون  
بعيونهم أم بارتعاشات حيالاتهم . بدموعهم !. والبلايا المتجمدة فى تجمعات  
جباههم ؟.

كان الدهر يمشى مقلوبا ، أو الارجح هو لا يجرؤ على الدخول لمواجهة  
المعتوهين . وقف بالباب كمتفرج محايد وجد فى الحياء سلوى ، وفى المراقبة  
خير فرصة للسيطرة على الملل .

الفناء مملوء بنساء بلا أوصاف . رجال بلا عمر . تنهد . تفاؤل ضال . توجس  
خيفة . تعاطف يجمع اشتات نفوس وحدت النكبات بينها .

— منذ أسبوع فقط علت من المصيف الحكومى المجانى بعد استراحة دامت  
سبعة أشهر ..

— عطلة سعيدة اذن . لكن اين هذا المصيف ؟ هل الحكومة خصصت مصيفا  
مجانيا للفقراء والمعوزين ؟ كم أحن الى يوم راحة على شاطئ البحر .. انما مثلى

لا يجب ان تطمع فى أكثر من حديقة عمومية . وحتى هذه الراحة لا أجدها الا فى المناسبات . الغسيل ، والعدو من بيت الى بيت ينهك جسدى ولا يترك لى فرصة لفهم كلمة استجمام .

كل ونصيبه . جارتى لا تفتأ تدخر من عملها . اشترت أخيرا مكنة صوف من طراز ممتاز . ابنتها تشتغل . بلوزة صوفية بخمسة دنائير ، تصورى . خمسة دينارات كاملة . أدخلت البوتاغاز الى البيت بعد الكانون ، والآن تفكر فى شراء ثلاثة دفعة واحدة مع انه ليس هناك مثلى فى غسل الثياب ، وكى القمصان ، لكن الحظ .. أين هذا المصيف يا ترى ؟

— أيعقل أن تتبرع الحكومة بمصيف مجانى للتعساء .. الاستراحة التى أقصدها هى السجن ..

— السجن .. وما الذى أدخلك الى هذه الاماكن الخطرة ؟

— قصة طويلة كان على ان اكتبها ، وأعيش حوادثها . أشهر لا تنسى . العذاب . الانتظار . الانزواء المؤلم ، أو الاختلاط المشين . الملابس الوسخة . الروائح العفنة . طابور الاكل طابور دورة المياه . الكبت الصارخ فى الصدور واللمسات المحلقة فى أفق الخطيئة ، والايدي المتسللة ليلا باحثة عن رقعة لحم أو حرارة نهد تمتص منه الرحيق .. أيام كالحة ..

— يا للعار .. نساء ..

— الملل جائر ، لا يرحم . أقوى مستعمر عرفته الارواح .. ان حط رحاله واستوطن قلبا ، فعلى الامن السلامة .. لكن ما حكاية السجن ؟ ماذا فعلت ؟ ملامح البراءة والتعس على وجهك ، لا غير ..

— سبب المحنة ، هذا الافاق .. من تحطم شراعه ما عاد يخشى ان تجف البحار . أما أن يعيد الى ما سلبه منى والا فللمحن تسلسل مرعب . دينارات خمسون .. ادخار أشهر من الصبر ، والتكشف ذهب كأن لم يكن . أحجيته لم تجعل من الخادمة سيده كما كنت آمل ، وانتصر ذلك المهندس الوغد . « ما أن تدفنى الحجاب فى بيت الحبيب ، حتى يأتى به الجان على بساط البرق ..

كان على ان اتحايل على الفرص . أعود الى الدار التى تركتها مطرودة بعد أن عشت فيها أعذب لحظات وهمى . مسك بى فى الحديقة بعد أن أخفيت الحجاب فى التراب . لم يقنع بتسليمى الى البوليس ، بل زاد فائق كاهلى بتهمة أنا بريئة منها . سرقة أوان فضية .. اشتغلت فى البيت خمس سنوات ولم أشهد آنية فضية واحدة . الزنديق عرف كيف يلقي التهمة على . طريقة مبتكرة للتخلص منى ..

لن يكون انتقامى الا رهيبا كعذابى الطويل ، المشعوذ الذى يتظاهر بالتقوى والمعرفة ، ثم المهندس الذى أو ثقنى باسم الحب ، ثم طردنى خرقه بالية . حقا ما بقى ما أخشاه .. تحطم الشراع فما على البحار الا أن تجف . - ما الدنيا سوى هموم متفرقة . كل ينوء بحمله . لكن الجانب الاوفر من المصائب فهو لنا . للتعساء الكادحين . الطبقة التى تبرأ منها المجتمع وهو مرتكز على سواربها . ابن أختى هو الآخر فى السجن . بعد أيام سيصدر الحكم ومن يدرى الى كم سنة ستؤول العقوبة . جئت عسائى أفعل شيئا من أجله . ماذا ؟ لست أدري ..

سهم حسد ألقى فى نحره غرة . كان يشغل فى سباقات السيارات ، يقوم بالامتحانات للراغبين فى الرخصة [www.Saib.org](http://www.Saib.org) يجهه الجميع ويتفألون به . كل من مسك المقود أمامه ، نزل من السيارة ناجحا ، الرخصة فى حوزته . لا فشل . لا إعادة . سنوات من الخيرات مرت نلت فيها حظا وافرا . لم تبخل على أختى بالهدايا ، والمأكولات والسياب الجديدة . لم نع الا والتهمة تنهال عليه كالقضاء . التحقيق . مركز الشرطة . والسجن . لن أصدق ان الخيرات المغدقة علينا كانت من الاموال التى يتحصل عليها من الذين يقوم بامتحانهم مقابل نجاحهم .

فى المحكمة يقولون كلاما كثيرا لم أفهمه . لكن ماذا ان ساعد أحدا وأخذ مقابل ذلك ؟ جارت الاحكام ، وتغيرت العادات ، ومنع حتى قبول الهدية ..

- ليست هدية يا خالتاه . هى شئ أخطر من ذلك . أمر مهول يعتبر خيانة للتهنة التى يؤديها ..

- هل سمعت بمسؤول لا يسرق ولا يرتكب مخالفات ؟ انما الكلب الغرير يقع ، اما الثعلب فمن الصعب اصطياده ..



— الشعوذة أمست لعبة السنين الجدداء . أسهل مورد للارتزاق . البلد لم يعد يخضع الا للمشعوذين والحواة . هم الوحيدون أعمالهم فى ازدهار . ما يكسبه عراف فى يوم لا يتحصل عليه تاجر فى سنة ، أما العمال .. ليتك تعودين من حيث جئت . مات العليل ظمأ ، فما نفع الغيث ان غمر تربته .



أجنح الى النزوح من وكر الخبل الماجن . يتهاوى أمامى صبى كفصن جاف ضربته فأس متهورة . الغرفة المظلمة تنتشلنى من الاصوات الناعقة . البخور يتصاعد . يلتحم فى عناق حار . تلتحم معه نظراتى فى حرب صامتة . عشرات الديوك السود تتناحر تحت قدمى . تلتف حول بعضها . تنظم دائرة رهيبة الحلكة . بحر من الدماء يلثم خطاى . تضمحل الرؤية . تذوب فى حرارة العيون القانية . أركع فوق سجاد الريش الاسود .

خطوط غريبة على ورق . نظرة فى كتاب أصفر عتيق . لمسة من حبات سبعة بنية اللون ، وارتفع صوته بالحكم القاضى . « مارد من الجن قد تملكك . يقتفى أثرك . لا سبيل الى الفرار من شراسة أسره . سيظل أبدا يزرع البؤس فى حقول غدك . وينثر القحط فى أفق عمرك . لا بد من عمل خطير يحميك من شر هذا البلاء . كل أفراحك كسيحة فى نحس «زحل» تودع الروح فى شبكة «زحل» أما «عطارد» اياك يا ابنتى .. »

تنغرز عينائى فى وهج الجمرات تراقص انعكاساتها ، والمارد النارى يبرز فجأة بين سرب من المردة ، تعلو شفثيه المتدليتين تكشيرة متقرزة . أنكمش فوق كومة الريش المبلول أدس خوفى فى بحيرة الدماء الساخنة . يقفز من غابة عينيه كلب صغير قتلتة يوما لاشبع رغبة مجرمة ، وأريحه من آلامه . قتلتة انتقاما من أناس حطموا حياتى وفى لحظة حمق لم أفكر فى سحقهم .. وأناس أصبو الى محققهم ولم أجد بعد الفرصة الى ذلك .

الحيوان البائس يتأوه ألما . يهد المرض جسمه النحيل . ارمقه بشفقة ممزوجة بنقمة غير محتكرة . يعوى . تعوى معه أحلامى السائحة فى عوالم السخط والحقن . تتقدم أصابعى منه ببطء رهيب . يرمقنى برجاء أبكم . ربح يأس تلفحنى .

طفاة قد شردوا ينبحون لاعنين مدنهم المباعة ، تبقر بطونهم عرائس البحر  
الناثرات لحدث مجهول . أطفال اقتلعت أسنانهم يولولون وقد فتك بهم الجوع  
والسمك يسبح حولهم ضاحكا من مجاعتهم ، والامواج تتثنى قربهم ساخرة  
من عطشهم . نساء مقطوعات الاذرع ، محلقات الرؤوس يجرين خلف شهاب  
ضائع بين ويلات « زحل » ومشاكسات « عطار » ..

تعود صدماتي ترجني ، فتكمل أصابعي سيرها يدفعها احساس مبهم  
الاغراض . تكتسح يدي فمه . وأنفه . أضغط . يرتعش لحظات . ترتعش  
نظراته في الفضاء تطرح سؤالا لا جواب له . يفقد الجسم حركته . مشاعر  
قاسية تعربد بداخلي . أرتمي فوق السرير أعصر الساعات دموعا وأنا  
أضائل .. أضائل ، وآلاف الكلاب تحيط بي نابحة ، تسعى الى الفتك .

« في أعماق كل كلب أسود يختبئ مارد شرير هو دائما على أهبة البطش  
بمن يعبت بصاحبه .. قتل الكائن البشري غلطة بسيطة يحلو أحيانا للقانون  
أن يعاقبها ، انما قتل كلب ينام في أعماقه مارد من الجن ، فجريمة فظيعة لا  
يزيل آثارها سوى الموت ، أو الجنون » ..

ARCHIVE  
★ ★ ★  
<http://ArchiveBeta.Sakhril.com>

« خذى ثمرة تبركا . التمر مبعث قوة وذكاء . أصبح نادر الوجود ، ربما  
لو أردنا لبن تينين لوجدناه ، أما التمر .. عندي تجددين كل شيء بفضل  
المغفلين . كلي ..

أنظري .. حظك هنا في هذه المرأة المسحورة .. يا للفرحة .. انسى أراك  
مرتدية فستانا من الحرير الابيض . يطوق خصرك حزام من الورد العابقة ،  
وفوق رأسك تجلس الشمس بأنفة تلفح وجهك بأشعة السعد .. مرأتى لا  
تخيب . سترين بشائر نبوءتى عما قريب . زوج عظيم . مركز مرموق . ومال  
وفير ..

لكنى لم أرعن قريب أو بعيد سوى العشرة دنائير التي انتزعها منى بقناعة  
مفتعلة ، وجشع مكشوف وقح . وها أنا جئت لهذا الاعور . الضربة لم تكن  
قاضية . جرح العجل وتمزق جسمه ، لكنه ما زال يركض في الساحة تدفعه  
آلام جراحه النازفة . كم يخشى التوقف ، كم يخشى الوقوع . كم وكم !!

« مازال ملك الجان ناقما رغم ما سقيناها من دماء ، وما ذبحنا من ديوك سود لا بد من عمل أشد هولا يقتلحك من حصار هذه الفاجعة .. »

ينتصب قبالتى . تنتصب نوايا سيئة تحيط بنا . يضع يدا فوق كتفى . يجذبني نحوه . تسد أنفى أنفاس كريهة . « كوني لى فستنحل عقد النحس ، ويفنى مارد الشر الذى يقتفى ظلك غصبا عنك . اسمعى نصيحتى . لست ممن يستغلون الفرص ويرتكبون المعاصى ، لكن ما دام هذا هو العلاج الوحيد الذى أقدر أن أقدمه لك ، فسأضاجعك وأمرى الى الله . الامر عنده ، والاجر عنده . لن أبخل عليك بهذه الخدمة الانسانية .. لن يصبح البشر بشرا ما دام هناك من يحاصرهم ويتحكم فى مصائرهم .. »

يغتصب قبلة من خدى المتصيب عرقا . أقذفه بلعنة ساخطة . أدفعه عنى بحقد مفاجئ . يقع فوق الحصار بين الكتب الصفراء القديمة ، وأقلام القصب المبعثرة هنا وهناك .

« ستعودين فى يوم من الايام ذليلة محطمة الكبرياء . لن يخلصك من الجان المستبد بك غيرى ، أنا أعظم عراف فى البلد . الكبراء واصحاب المناصب السامية يعرفوننى . هم مدينون لى بكراسيهم ورتبهم . أرفع من أشياء أكنس الارض برأس من أشياء . من فر منى فى ساعة حق ، عاد الى مستنجدا يبكى تائبا .. سترين .. » أندفع وسط جموع التائهين ، أشق الطريق بصعوبة . زفرات . تشنج . خبل . خبل . خبل .

« اغتصب الامل وهجم الواقع على بوابل طينه وجراثيمه . فما بقى ؟ ما بقى ؟ »

« هناك من خلق بلا واقع يحيا متأرجحا بين أحوال الامانى وتقاعس الحقيقة الفجة . فئة لو أرسى على الارض لمادت بها ، أو هى لم تجد أرضا تستقر فوقها . »

« الارض لغاصبيها . والدنيا لمحتكريها ، أما الضالون فلعنة ضائعة فى آفاق الشقاء .. »

« يا لغبطة القوم الذين يحكمهم المغامرون ، والمشعوزون ، وأضرحة الاسياد .. »



مصري بيدي سوف أقرره بنفسى . لن أتركه فى كفة الصدف العابثة .  
لن انتظر لفترة من أعين القدر المتغاضى عن وجودى ليقرر فرحى أو تعسى .  
لن ينظر فى أمره عراف مجنون المطامع ، أو تغيرات أفلاك مشؤومة الطالع .  
لن يتحكم فى ما رد من الجن رغما عنى . يسير حياتى كما يشئى ويجنى ثمار  
جسمى ليلا دون رادع .

لن اكون الا انا .. كما اريد انا ، وكما يجب ان تكون انا ...



قبالتى رتيلاء ميتة لم تجد من يتولى دفنها ، أو حيوان ما يأكل جثتها .  
كلانا ميت . خالق ليؤكل . حشرة تأكل حشرة . و .. جدار مترهل . متهدل  
الخدين ، يستشيط غضبا للممس حرزون ضخيم مصفح الرأس بأوهام سخيقة  
كأنه يحلم أن يصبح فى أجل قريب اكبر تمساح خلق ، يبتلع الكون وما فيه  
من زواحف بشرية ، تسببت فى ايجادها حماقات جنسية .

تنكسر نظراتى فوق سلم أهدابى . ملايين من الحراذين تتدلى . تزحف  
فوق جلد الجدار المترهل . تقترب بشراهة مجوسى متعنت . أخفى جسمى  
المرتعد تقززا ، تواصل الزحف نحوى الموكب المخيف يرتع فى الغرفة .  
تتركنى عزائى لهول نكبتى . أجول ببصرى حولى . أتأكد مرة أخرى أنى ما  
زلت وحيدة . وسأظل أبدا وحيدة .. ولن أموت الا وحيدة ..

لا أحد معى سوى المردة ، وخلية الحراذين . تتقدم منى بكل ثقة . تصل .  
أجسامها اللزجة تلتصق بى . موجة برد عاتية تغمر أعضائى . تركع فوق  
رأسى . تتسرب الى جسدى . تنسحق قواى . الحراذين تتسلقنى . الكون  
بجانبى يروح فى نوبة اغماء وقد امتصته الحراذين الجوعى .

فجأة ارتفع . سلالم لا مرئية تجذب قدمى .. أحلق فى فضاء نقى الصفاء .  
ارتفع ثانية . المخلص عاد يضمنى فى هدوء مستسلم . كئيب . البراءة تسير  
حركاته الوديعه .

يمتزج جسمانا . تتعانق روحانا فى طمانينة باسمه . أعلق به وقد تخلى  
عنى الجميع . تلذذوا بتعذيبى ومصادرة عمرى الراحل عنى .

صنير سلاسل الحقد والتعسف وهي تنحل تداعب سمعى .. أزيح  
الأغلال .. دعاة العنف ينهبون الأميال فى هجرة طويلة . طويلة .

أضع رأسى فوق صدره حنانا .. كلانا قد ظلم .. كلانا شهيد .. كلانا كتب  
عليه ان يروح ضحية الضيم والافتراء البشرى .. يهتف صوت من خلف غمام  
الاسى الجاثم فوق ذقن زمن فان . عندما يصبح الوجود مجرد عبث .. والبقاء  
نزوة جنونية لا طائل خلفها ، يكون العدم الرأى السوى الذى يتخذه العاقل  
الغريق ، للجوء الى بر السلام .. فالموت دعائمه التبصر والامل ، والاستمرار  
قوائمه الهزيمة والخبل ..

مارس : 1979

حياة بن الشيخ



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

### من منشورات صفاء

الحركة وانتكاس الشمس . رواية : محمد الهادى بن صالح  
طريق المعصرة ..... مجموعة قصصية : محمد العروى المطوى

### قريبا

الشقة ( 78 ) ..... رواية : عمر بن سالم

## « الشقة .. 78 » (1)

هل أذهب لاعتراضه بالمحطة ؟ لا . لعله يعقبني الى الشقة من شارع آخر .  
ليس من عادته أن يتأخر . لماذا لم يترك لي ورقة ، يشرح لي فيها سبب غيابه؟

لم تجد نورة بدا من الانشغال بالعشاء عن هواجسها . بدأت في غسل بعض  
الاواني التي وجدتها ملطخة ، ولكن تفكيرها في زوجها لم ينقطع .

عزمت على الذهاب الى دار سى المنجى ، صديق زوجها وزميله في معهد  
الضاحية .

كانت تتوقع معرفته للسبب . ولكن خوفها من مجيء الهادى بعد خروجها ،  
جعلها تعدل عن عزمها . لم ترد ان تضيف الى حيرتها حيرة زوجها ...  
دخلت الغرفة ، ضغطت زر التلفاز لتنشغل بالصوت والصورة عن قلقها .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

رأت ما رأت وسمعت ما سمعت دون كبير وعى . الذى شدها من البرنامج هو  
الاعلان عن اجتماع قررته دائرة حزبية في مكان ما في وقت ما . فكرت في  
اجتماع النقابة التى ينتمى اليها زوجها . رجحت أن يكون سبب تأخره هو  
حضور اجتماع لم يعلن عنه من قبل . النقابة ليست لها امكانيات البرمجة  
والاعلام ...

لعل اجتماعهم هذه المرة قد عقد بصفة سرية . اجتماع لا يعلم به أحد حتى  
أهالى المشاركين فيه من النقابيين . لا بد أن يكون هذا هو سبب تغيبه ...

لكن لماذا يعقدون الاجتماعات السرية ؟ ليس من عادة النقابة أن تفعل ذلك.

---

(I) فصل من روايه لعمر بن سالم بعنوان : « الشقة 78 » تصدر قريبا عن  
شركة « صفاء للنشر والتوزيع والصحافة » .



لعلها الظروف .. من يدري ؟

ظلت أفكارها متضاربة ، تؤكد الشيء ، ثم تعود لتنفيه . أربكتها الحيرة .

لم تعد تدري ما تفعل ...

أطفأت التلفاز ، ودخلت المطبخ من جديد ...

لم يطل بها أمر الحساء ، عادت إليها هواجسها المتنوعة .

« ... موجة من التفتيش والاعتقالات فى المدينة . قد يضبط بلا هوية . ربما أخذوه الى المحافظة المركزية . ربما طلبوه فى ورقة السراح المؤجل من الجندية ... »

ليتنى أنجبت له ولدا حتى يتخلص من ثكنات الجيش . انا هى السبب !

ما كنت أحسبه مهددا الى الآن ...

حوادث السيارات ... اللطف يا رب ! كثر السطو والنشل ... المدينة أصبحت بؤرة للمنحرفين والاباش ! أخاف عليه الضرب والتشويه .

أما « جيبه فأجوف » ، كما يقول هو !

ما الذى ألجأه الى الذهاب وحده الى العاصمة فى ليلة شاتية كهذه ؟

كأننى لو كنت معه لأنقذته مما قد يتعرض له ! ربما . المصحوب أبعد عن التهمة من المنفرد . اثنان خير من واحد . الصحبة عصبية ...

هل فكر ، يا ترى فى حمل الصداق فى جيبه كما طلبت منه ذلك عديد المرات ؟ هو عنيد لا يعمل الا بما يمليه رأسه .

لو أخذوه للتحقيق معه لتبينت له عاقبة عناده ...

وما حاجته الى الصداق اذا كان وحده ؟ الصداق يصلح له عندما أكون معه.

واذا ضبطت مع فتاة ! أترام يفعل فعلة كهذه ؟ يقدم المرأة على أنها زوجته ، وتنطلي على الشرطة الحيلة . ربما ! اذا تبنت هي هويتى ، قالت : إننى زوجته ...

ربما أجادت التمثيل ، فصدقوها . هو أيضا ممثل ماهر ! لقد أقنعتى مرات كثيرة بغير الحقيقة . خياله واسع ، وكذبه يشبه الواقع ...

لو قال لى : إنه ذهب الى المدينة لان اخته مريضة لصدقته دون تحر ...

ولو قال لى : إن الامر يتعلق باجتماع نقابى ، لما قدرت على التحرى ...

كيف ؟ النادى أعرفه والبواب على علم بكل ما يعقد فيه من اجتماعات .

ربما عقد الاجتماع فى مكان آخر . وهل لنقابتهم مقر غير مكتب من تلك الدار الضيقة ؟ فقر الكادحين يظهر فى نواديهم ...

هل الاتحاد فقير ؟ فى أى وجه تصرف الاشتراكات ، يا ترى لماذا تخصص مباشرة من الراتب كما تخصص الضرائب ؟ لماذا لا تكون حرة يدفعها الناس متى أرادوا ؟ وهل يدفع الناس ما يدخل جيوبهم ؟

الدرهم عزيز خاصة على الموظفين والشغاليين . اما الموسرون فأمر الصرف والدفع عندهم هين . هم يجمعون الدنانير بالبذرة ... حبوب تكال كيلا . لو حصلت منها على كيله لأنهيت مسألة الفقر التى نعانىها . لو كان دخلى ألف دينار فى اليوم !.. ألف دينار ؟

وكيف السبيل الى صرفه ؟ الصرف لا يعجز الاغنياء بله الفقراء مثل ...

ما الفائدة من التشهى ، واليد فارغة ، وستظل فارغة الى ما لا نهاية ؟

نحن لنا نهاية . هذه هى القضية . لو كنا نحيا الى ما لا نهاية لهان الامر !

ومن يحيا بلا نهاية من البشر ؟ الموسرون أنفسهم محدود وعمرهم محصور !

لا تهتمى ، يا نورة بهؤلاء فان أولادهم يرثون التركة ، ويتمتعون بها من

بعدهم ... أما أنا والهادى فسوف نترك أبناءنا فقراء . من قال لك ذلك ؟ ربما أضحوا بعدنا أغنياء من يدري ؟

جدي كان فقيرا ، واغتنى أبى فى التجارة . قل كان ذلك بسبب ظروف الحرب ... أخى علوان صاحب معمل ، ربما صار ابنه مديرا لشبكة من المعامل . وربما أصبح فقيرا مثل جالنا . علم الغيب عند الله !

أبناء الموسرين لا يفكرون . هذه هى القاعدة ، والحالات الشاذة استثناء الى حين . أبناء عمى الازهر كلهم أغنياء . تحيا التجارة الحرة ويسقط التعاضد ! أبناء خالتي حلومة كلهم فقراء . ظل أبوهم متمسكا بالريف ، ففاته فرص الغنى ثم فوتها على ذريته . منعهم من النزوح والهجرة ، يعتقد أن الارزاق تساق لأصحابها سوقا أينما أقاموا . نسي أن من قعد فى هذه الدنيا قعدت عليه .

حجته على لسان خالتي : إن الدنيا حظوظ ، وإن الغنى يجىء ويذهب ؟ يجىء ويذهب ! لمن يذهب يا ترى ؟ يذهب الى الاغنياء الكبار طبعا ! الى هؤلاء الذين لا يفكرون أبدا مهما كانت تقلبات السوق ، ومهما كانت تصرفات الطقس . كاهلهم سمين ، تاكل منه السنون ، ولا تؤثر فيه ... يا سلام يا هادى ، لو كان لك كاهل سمين مثل واحد من هؤلاء الدبة !

لو كان الهادى من تلك الفصييلة لاتخذ عليك عشيقة ...

عشيقة ! وما المانع ؟ لكل الاغنياء عشاق وعشيقات ...

مستحيل ! الهادى لا يتخذ علي عشيقة ، ولو جمع مال قارون .

مستحيل ! وما وجه الاستحالة ؟ كل أفراد مجتمعه من المكبوتين .

إنه يحلم كل ليلة بالجنس . قال لك ذلك مرة فى معرض التفكه . هو يقول فى المزاح مايريد قوله فى الحقيقة ... ،

تسربت رائحة الشيايط الى أنف نورة ، فصاحت : يا ويلى العشاء احترق!!

أسرعت باطفاء النار ، ثم انشغلت بابدال الطنجرة وتنظيفها ، وهى تلعن الشيطان ، وتؤنب نفسها لطعنها فى عرض زوجها البرى .



لما أتممت ما عليها فى المطبخ ، توجهت نحو الردهة حيث افترشت جلد الخروف ، تربعت فوقه ، وظلت تتسمع وقع الخطوات الصاعدة على درج العمارة مترقبة وصول الهادى فى كل لحظة ...

طال بها الانتظار فرفعت الجلد ، ودخلت الى الغرفة ثم ارتمت على السرير حزينة مكدودة .

ماذا أصابه يا ترى ؟ فكرت فى فقدته ، فأحسست بالضيق والاختناق . ظهرت لها الحياة بدون الهادى ، لا معنى لها . الموت أهون من فقدته ...

«... ماأسهلك ، يا موت ! ان الذين تصيبهم الحياة بضنكها ، لا يسعفهم الموت براحتة . هل رأيتم معذبا فى الارض وفق فى الانتحار ؟ حتى العقاقير السامة لا تطولها الايدى المحتاجة اليها . إن الفقراء لا يملكون الوسائل لانقاذ أرواحهم ...

لكن ماذا أفعل بحياتى بعده ؟ أضعها فى خدمة أمى ولها فى المنزل خادمان: واحدة للمطبخ ، وأخرى للتسويل ؟ أأهبها لأخى علوان ، وله زوجة لا تحتمل رائحة الامل والاقارب ، أم أجعلها تحت تصرف أخى حمدان ، وهو لا يرتاح لوجودى معه فى البيت ، كأنه يخشى أن أقسّم معه التركة أو أن أطلع على أسرارهِ التافهة ؟ ومن الذى يجهل ما يجرى بينه وبين الخادِمات ؟ قبحه الله ! ما أوسخه من فتى !

إن حياتى ملكى ، فلماذا أضعها على ذمة الآخرين ؟ لماذا لا أسخرها لخدمة نفسى ؟ أشتغل وأعيش ...

وكيف تعيشين اذا كنت أرملة ؟ أتتسبين حبك للهادى ؟ هل تراك قادرة على محبة رجل بعده ؟

من يدري ؟ النسيان آفة الوفاء ! بعد عام أو عامين يمضى شخص ويأتى آخر . يموت حب ويحيا حب ، وتعود الحياة الى مجراها الطبيعى . كل الارامل أحبين وتزوجن . وهل أنت يا نورة بدع بين النساء ؟ لا . لن يموت الهادى ، ولن أتزوج غيره . سأسبقه الى القبر ، وعليه أن يحتار هو من بعدي ...

تراه كم يبقى من بعدي بلا زوجة ؟ سنة ؟ لن يصبر أكثر حتى ولو كان عجوزا ...

والاولاد ! ماذا تراه يفعل بالاولاد ؟ يتركهم فى كفالة التى تأتى من بعدي ! لا . لن أترك اولادى لغيرى . لن أتركهم لأحد ... لن أموت .. سأظل أراهم حتى يبلغوا الرشد . ربما تزوجوا وأنجبوا ، وأنا حية . سوف أصبح جدة . أنا التى ما عرفت جدة من أمى ولا من أبى . أخذتهما الحرب معها . ما أقساك يا حرب ! كم أزهقت من أرواح فى الساحة وفى غير الساحة ! وما أنت تواصلين الدمار . ما أغبى الاحقاد ! .. » .

سمعت نورة حركة المفتاح فى قفل الباب . نطت من فوق الفراش كالقطة المتسرعة . بدأت فى معاتبة زوجها قبل أن يدخل :

— لماذا لم تعلمنى بسبب ذهابك ؟ ما الذى جرى لك ؟ لماذا تأخرت ؟

وضع الهادى محفظته حيثما اتفق . وبدأ فى نزع معطفه المبلل قبل أن يرد عليها . ثم التفت اليها فوجدها مضطربة ، لا تدري ما تفعل . سألها كالمعتذر :

— لا بأس عليك ، يا نورة ؟

— أين كنت ؟ لقد حيرتنى والله ، وشغلت فكرى . لماذا تأخرت الى هذه الساعة ؟

— اجتماع لهيئة النقابة .

— أعجزت عن كتابة ورقة وتركها هنا فى الشقة ؟

— وصلتنى الدعوة عن طريق الهاتف فى المدرسة . فذهبت مباشرة من هناك .

— لماذا لم تكلف زميلك سى المنجى باعلامى ؟

— سى المنجى لا يدرس بعد ظهر اليوم . ولم تصلنى التوصية الا الساعة الرابعة . أعلمنى بها القيم العام أثناء فترة الاستراحة .

— حيرتنى غيبتك .. ما كان عليك أن تذهب الى الاجتماع هكذا بدون اعلامى .

- طواري، ! ما كان الاجتماع مقررا ، ولكنها الظروف .  
احتضنت نورة زوجها ، وضمتها اليها بحرارة ، كأنها تشعره بمدى  
خوفها عليه .

وأدرك منها الهادى ذلك ، فقال لها فى دلال :

- أتخافين علي الى هذا الحد ، يا نورة ؟ إنها ليست أول ليلة أبطىء  
عليك فيها .

- لا ، ولكننى هذه المرة لم أكن مطمئنة عليك . لست أدري لماذا .. قلبى  
لا يحدثنى هذه الايام بخير . إنى أتوقع الشر فى كل لحظة .

- لاتخافى ، يا حبيبتى . إننى أعرف كيف أتصرف .

- قل لى : أما كفتكم الاجتماعات الدورية ؟ لماذا أصبحتم تعقدون  
الاجتماعات الاستعجالية الآن ، وبدون سابق دعوة ؟ ما الذى الجأكم الى هذا ؟

- الظروف ، يا نورة . الظروف ...

- ولماذا كل هذا التمديد والتطويل فى الاجتماعات ؟ أما كفتكم الساعة  
والساعتان ؟

- هى رغبة الرفاق فى المناقشة ، وتقليب الامور على جوانبها ، و و و ...  
أخذت نورة معطف زوجها ، وعلقتة على المشجب قرب الباب ، بينما توجه  
هو الى دورة المياه لقضاء حاجة مستعجلة ...

لما خرج بعد غسل يديه ، سأل نورة ما اذا كان عندها الليلة حساء حار .

- لقد سخنته مرتين ولكننى ما أخاله الا ابترد .

- سخنيه ثالثة . سوف لن أتركه يبرد فى معدتى .. إن الجوع والبرد قد  
أجهدانى . لم أعد أحس بأصابع رجلى .

أوقدت نورة الغاز تحت القدر ، وهى تسأل :

- هل وصلتكم الى اتفاق أو نتيجة ؟



- الاغلبية تقترح إضرابا إنذاريا محدودا بيوم واحد . والاقلية تنادى بثلاثة أيام متتالية .

- وما هو موقف القيادة ؟

- سوف يقدم أمين النقابة تقريرا الى المكتب التنفيذي غدا ، وننتظر الجواب .

- الانتظار ! الانتظار ! لا شئ عندكم غير الانتظار .

- وما العمل ؟ لا بد من القيام بكل هذه الاجراءات . لا بد من المرور على السراط .

- والسراط يدفع الى السراط حتى تطول السواريط وتتفرق الشمايط!

- تلك هي علة التنظيم . لا مناص للقاعدة من التسليق الى القمة لتستشيرها عما اذا كان من حقها - وهي في السفح - ان تستنشق الهواء أو تشرب الماء !

- جلست نورة قبالة زوجها على المائدة ، في انتظار تقديم الحساء له ، وهي تعلق :

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- أما بدون استشارة ، فلا حق لها في الحياة .

- حق القاعدة رهين بحملها للقمة والاستقرار بها حتى في وقت الأعاصير !

- لتعصف الزلازل بكل القمم !

ثم أضافت مثبتة عزم زوجها :

- لو كنت مكانك لما اشتركت في الاتحاد ، ولا شاركت في هيئة النقابة . ما جدوى كل هذا الاجتهاد وحضور الاجتماعات وتوزيع النشريات ، تحرير العرائض واللوائح و و و . لماذا الدخول في دوامة . والدوامة في بركة أسنة ؟ لو أدت تحركاتكم الى نتيجة لو استطعتم أن تفتحوا المجارى وتجددوا المياه ، لهان الوقت الضائع والجهد المبذول . ولكنكم دوما في الوحل تتخبطون. لا ترفعون رجلا حتى تفرق بكم الاخرى الى الاعناق !

- تلك هي طبيعة الكفاح . لا يدري الداخل فيه متى يستطيع الخلاص .  
ولكنه يجاهد ثم يجاهد لان ايمانه بالنصر لا يتزعزع .  
رجعت نورة الى مكانها حول المائدة بعد أن قامت بتحريك الحساء فى الوعاء  
وهي تقول :

- إننى لأعجب منك ومن أمثالك . كيف لا يتطرق الى نفوسكم اليأس ؟

- مطالبنا شرعية وقضيتنا عادلة .

- كيف تطمعون فى العدل ، والعالم مبنى أساسا على الانانية ؟

- ولكننا نكافح للقضاء على هذه الانانية بالذات .

قالت نورة فى إصرار :

- جهودكم ضائعة ، ضائعة ، ضائعة ! طينة البشر جائرة مستبدة جشعة.

ثم أضافت سائلة :

- هل تغير الناس منذ أن خلق الناس ؟ هل اعتدلت غرائزهم ؟

- الناس لا يتغيرون من تلقاء أنفسهم ، الناس يغيروهم الناس ، تدفعهم

المصالح وموازين القوى فيعدلون غرائزهم ويبدلون تصرفاتهم .

- عملنا فى النقابة يهدف الى تعزيز هذه القوى المعدلة ...

- إننا نعيش الآن زمنا طغت فيه قوى الشر . ولا أرى كيف يمكنكم تغيير

الايوضاع ، ما دامت الحكومات هي التى تساند القوى المهيمنة ، وبكل  
الوسائل .

- الحكومات تغير مواقفها اذا شعرت بأن كفة المستضعفين أخذت فى

الرجحان .

- ومتى ترجع كفتكم يا هادى ؟

- كفتنا ترجع عندما نرجحها نحن بالاتحاد والصمود .

- اتحدوا واصمدوا ، وعدلوا لنا الموازين بسرعة فقد بدأنا نياس ...

نهضت نورة لتغرف الحساء من القدر ، وظل زوجها يتحدث وحده :  
 « لو كان الامر سهلا ما انتظرنا كل هذا الوقت ... »

تعلقت نورة بعبارة زوجها ، وقالت :

- أتدرى - يا هادى - أن انتظارى لك الليلة قد انقص من عمري أكثر  
 من سنة ؟

لقد أطبقت الهواجس على قلبي حتى كدت أختنق بأنفاسى ...  
 - لن أتركك محتارة فى المستقبل .. سوف أعلمك مسبقا بكل اجتماع ،  
 ولو اقتضى ذلك الذهاب اليه بعد الوقت .

- إننى مشفقة عليكم وعلى نفسى . أحس أن الشتاء لن يمر علينا بسلام .  
 - بل إننى أتوقع أن يكون هذا الفصل خصباً ، وأنا سنجنى من ورائه  
 خيراً عميماً .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- ما عدت أصدقك .. ما أنت بنبى .  
 ثم استطردت :  
 - لقد صدقتك قبل الزواج . أما الآن فقد ذهب سحرك . اطلعت على كل ما  
 عندك من كرامات . ما فيها واحدة أخرجتنا من الفقر !

قال الهادى ، وهو يغمزها بطرف عينه :

- لا تصدقنى كل تنبؤاتى . صدقنى فقط ما يستهويك منها .

ثم أضاف كالمراجع :

لا أريد التفرير بك ثانية ...

- كأنك فعلت يا هادى . قبولى ترشحك لهيأة النقابة قضى على بمواصلة  
 الرحلة معك حتى النهاية . مثله مثل الزواج .

ثم استدركت ، وهى تصعد زفرة :



- لو كانت رحلة فى مركبة الحزب ، لطمعت فى آخرها الى بلوغ أريكة وثيرة ، أو على الأقل الى مقعد مريح . أما والرحلة فى عربة النقابة ، فما تؤدى
- على ما يظهر - إلا الى مفارش الاسمنت الباردة !
- قطعت بك القافلة الآن أشواطاً لا رجعة فيها .
- أمرى لله ، وصبرى على أيوب !
- وحقك على . أردف الهادى بعد أن أخذ الصحن ليملاه ثانية بالحساء .
- عندنا مرقعة أخرى . لماذا لا تأكل منها ؟
- أتركها للغد .
- هى مرقعة البارحة ثم نتركها للغد ؟
- ضعيتها فى الثلاجة .
- أنا لا رغبة لى فيها . سوف أتغدى ثريداً مع الزميلات فى الإدارة .
- كما تريدن . سأكتفى أنا بالفاضل .
- اشترى خبزاً طازجاً على الأقل . وأنت عائد من المعهد .
- قالت نورة ذلك ، وهى تستعد لغسل الاوانى بعد أن فرغ زوجها من الأكل ...

عمر بن سالم

## الرواية التونسية وخطأ التقييم (1)

محمد الهادي بن صالح روائي وقصاص اكتسح الساحة الثقافية والادبية بكل قوة مؤكدا مقولة : «العزيمة الصادقة واليقين ينتصران ولو بعد حين» . فالعزيمة التي تسليح بها محمد الهادي بن صالح - الاقتصادى المهنة والاختصاص - لخرق حجب الادب وحفر طريق فيه توصل الى الصف الاول ... هذه العزيمة هي نفسها التي جعلته لا يتوانى في التسابق مع الزمن وربح الرهان بالتغلب على المصاعب الجمة التي تعترض الاديب في بلادنا لابراز اعماله الى الناس الذين كتب لهم ومن اجلهم هذا الادب .

منذ سنة 1975 وحتى بداية سنة 1981 اصدر محمد الهادي بن صالح اربعة اعمال جادة هي مجموعة قصصية وثلاث روايات . طبعا حين نقول ثلاث روايات فللقول دلالة وبعده ... هذه الروايات تصور حالات كثيرة واطرواقا متقلبة يعيشها الانسان في تونس بدءا بالنزوح ومرورا بالفشل في الوظيفة او الدراسة او السجن وانتهاء بالمعارضة الاجتماعية والسياسية والضياع .

ومحمد الهادي بن صالح ابتلى بالكتابة ... واصبحت عنده مرضا لكنه يجلب العافية للمجتمع . والحق ان الاديب يموت ويحترق ليضئ درب الآخرين ... هكذا كان محمد الهادي بن صالح . انه يشارك باستمرار بقصصه في مجلة «قصص» .. هذه الاعمال المصورة ادق تصوير لظروف المجتمع التونسي ولارتباطه بعاداته وتراثه وعقيدته وانتمائه .. وكان محمد الهادي بن صالح حقا تلك الكاميرا الدقيقة الالتقاط لاهم فترات حياة شخوصه مع محاولة ابرازها جليلة ومفضوحة للقارىء .

قلت بعد ان اصدر مجموعته القصصية «الحلقات الملونة» سنة 1975 صدرت له سنة 1976 رواية «في بيت العنكبوت» وسنة 1980 رواية «الجسد والعصا» ...

(I) عن مجلة الاذاعة والتلفزة عدد 495 السبت I اوت 1981 .

وفى اوائل سنة 1981 خرج علينا بروايته الثالثة «الحركة وانتكاس الشمس» الاخيرتان عن دار صفاء والثانية عن دار العربية للكتاب والاولى عن الشركة التونسية للتوزيع . طبعا لكل كتاب مطبوع هنالك قصة وليس هنا مجال عرض فالذى سنتناوله هو كتاب «الحركة وانتكاس الشمس» محاولين تتبع تطور الرؤيا لدى الكاتب فنا وموضوعا .

صدرت رواية «الحركة وانتكاس الشمس» فى 184 صفحة من الحجم المتوسط اتبع فيها طريق المشاهد المتداخلة والتي لا تصل بقارئها الى النهاية اذا ابتدأت من البداية واذا ما قدمت النتيجة فلا تحدثك عن البداية . طريقة «الFLASH باك» هذه ليست حديثة الا ان محمد الهادى بن صالح لم يستغلها كقالب من صنع الآخرين استعاره فقط .... بل كانت خصوصياته الخاصة بارزة فيها ..

حيث استخدم اسلوب اللقطات المثيرة التى تقف احداثها بين الحقيقة والحلم بين الواقع والتطور بين الحدث ونتيجته .

بالصفحة 125 يقول محمد الهادى بن صالح على لسان بطله : « فى بلد اعتمد السياحة كأهم دافع من دوافع النما ... ولم يتفطن أحدهم على مادة ثرية غزيرة جدا تبدأ بالامثال الشعبية والمشاكل الاقتصادية والسياسية ، حيث ركز خاصة على الوضع الاقتصادى ذاك الذى يحدد مصير كل شخص من شخوصه الثانوية والرئيسية .

بالصفحة 157 يلخص الكاتب مسيرة شخصيته الرئيسية ذلك الطفل الذى ابتدأ تلميذا بقرية بالجنوب التونسى ثم التحق بتونس للدراسة فى احد المعاهد التى قيل له انه لم توجد لامثاله . ورغم ذلك تحدى كل الظروف الفقر والبؤس والمرض وانعدام ادوات الدراسة الخ ...

« وكانت جائزة الشرف لثلاثة اشهر الثانية وكانت جائزة الشرف للثلاثة أشهر الثالثة وكان ارتقاؤك آليا الى السنة الثانية والثالثة والرابعة والخامسة ...

وكان تأجيلك فى دورة جوان للباكالوريا .. وكان نجاحك فى دورة أكتوبر .. انضمامك الى الجامعة والى كلية الاداب ... وشعبة التاريخ ، وكان نجاحك فى الاجازة وانضمامك الى سلك التعليم ، وكان سجنك غلطا ..



وكان تعنتك وكان تعذيبك والسياط على جسدك .. وكان اطلاق سراحك وكانت عودتك الى السجن وكانت البطالة وكانت عائشة واخريات الدينار وسروال «الروبافيكيا» (الثياب القديمة) وكان عرض العمل، وكان انفصالك، وكن فتحك لمتجر ومتجر آخر ، وكانت مغالطة الاداءات ، والمسرح فسيح للاستغلال والمضاربات المالية والسوق السوداء والفوضى ...

الخ. .

هذه الشخصية الرئيسية هي محور كل الاحداث او الكوكب الذي انجذبت حوله الشخصيات الاخرى والاحداث جميعها والخيبات المتتالية . وقد استطاع الكاتب ان يجعل منه ذلك المذبذب الذي يعاني من كل الوان الاستغلال والفوضى رغم وعيه وذكائه . فجعل منه انسانا يعيش على ما توفره له بغى فى فترة ما رغم شهاداته العليا ورتبته كأستاذ . وقد وصل به الامر الى العيش بين بغى وعاهر تنفق عليه احدهما وتاويه الاخرى وينتهى به الى الجريمة فالسجن . تلك هي حالة صنف من المثقفين او تشبهها على الاقل فى فترة قريبة جدا منا .

فى الرواية «الحركة وانكاس الشمس» تعددت اهتمامات الكاتب ومحاور بحثه انطلاقا من تسلسل حياة شخصيته الواعية فانطلقت من المحلى الى الدولى مروراً بالعالم الثالث ذلك الذى حاول ان يجعل منه مجرماً فى حق نفسه وشعوبه . ولم يهمل الوطن العربى وقضية فلسطين وغيرها من القضايا التى تشغل بال انسان يعيش مرحلة السبعينات بكل يأس وانهازمية امام طغيان واستفحال الحيف الاجتماعى .

روايات محمد الهادى بن صالح تحتاج الى دراسة ضافية ولعلها يمكن ان تكون أشرطة سينمائية رائعة . ولن تكون فى درجة اقل من الرواية الغربية فى أى مستوى.. لذلك فلننزع عن انفسنا وهما ظل عالقا باذهاننا..ولنتجاوز مرحلة الاحكام المسبقة وندخل فى صراع مع الاحداث والتطورات الفنية لاستكشاف مخبآت عالمنا الروائى العربى عموماً .

حميدة الصولى

## هارب من السياسة

بدأ اهتمامه بالسياسة وهو تلميذ بالسنة الخامسة من التعليم الثانوى ، كان معروفا بين رفاقه بالاندفاع والتطرف ، وحين التحق بكلية الحقوق بالجامعة زاد اهتمامه بالعمل السياسى ، كانت الجامعة تضم عدة اتجاهات سياسية متباينة قليلا ما تجمعها رابطة أو يوحدتها هدف ، جماعات يسارية ويسارية متطرفة ، وجماعات يمينية ، وجماعات وسط بين هؤلاء وهؤلاء ، وكانت كل جماعة تريد أن يكون معها ، وانضم الى جماعة اليسار المعتدل .

ولم تمض غير بضعة شهور على التحاقه بالجامعة حتى صار من أبرز قادة الطلبة بها ، وبلغ أمره الى أجهزة الامن وصار مراقبا من طرف أعوانها السريين . وذات يوم أعتقل على اثر صدام وقع بين رجال الامن وطلبة الكلية حين أراد الطلبة التظاهر تعبيراً عن احتجاجهم على عدم استجابة الحكومة لمطالبهم التى كانوا قد تقدموا بها اليها فى وقت سابق .

أمضى إسماعيل بالايقاف قرابة الشهر ثم أطلق سراحه ليعود لمتابعة دراسته ونشاطه السياسى كأن شيئا لم يحدث ، وبعد أسابيع قليلة من وقوع هذه الأحداث أجريت امتحانات آخر السنة فى غير موعدها ، وانتهى العام الدراسى فى ظروف سيئة للغاية ، ولحسن حظه نجح فى الامتحان وصعد الى السنة الثانية رغم صعوبة الامتحانات ، ورغم ما تخلل فترة الدراسة من اضطرابات ، ورغم نشاطه السياسى المكثف الذى كان يستغرق جانبا كبيرا من وقته ، ورغم ما تعرض له من متاعب بسبب ذلك داخل الكلية سواء مع أعضاء هيئة التدريس أو ادارة الكلية .

وفى السنة الموالية وفى منتصف السنة الدراسية تقريبا قام ورفاقه فى القيادات الطلابية بحملة مكثفة لاقناع الطلبة بالاضراب عن الدراسة الى أن تستجيب الوزارة لمطالبهم المعلنة من قبل . وتم الاضراب بالفعل واستمر أكثر

من شهر وحين أرادت الحكومة حله بعد أن فشلت فى التوصل الى أى اتفاق مع زعماء الطلبة اصطدم الطلبة مع رجال الامن وقاموا بمهاجمة أقسام الكلية والمرافق الملحقة بها ... حطموا وأتلفوا كل شىء وقع فى طريقهم . واعتقل إسماعيل وعدد من رفاقه القادة ، وعدد كبير من الطلبة ، وقدموا للمحاكمة ، وحكم عليه بعام سجن . وبعد انقضاء المدة المحكوم بها عليه أدخل سبيله وعاد الى مسقط رأسه محطم النفس مشلول التفكير يجتر ندمه وأحزانه . لقد منع من الرجوع الى الكلية كما حرم عليه الالتحاق بأية كلية من كليات الجامعة ، ومرت الايام ، وضاق بوحده ذرعا بقريته الفقيرة المنعزلة فى أقاصى الريف ، كما ضاق بالفراغ القاتل المرير الذى أصبح يعيش فيه . وسافر الى هنا وهناك وكتب الى هذه الجهة وتلك بحثا عن عمل لكن دون جدوى ، وأظلمت الدنيا فى عينيه بعد أن تبخرت كل آماله . وعمل جاهدا من أجل الحصول على جواز سفر . لكن جهوده باءت بالفشل . وصار يشعر شعورا قويا ملحا بأنه أصبح يشكل عبئا ثقيلا على أسرته الفقيرة التى يحمل أعباءها شقيقه الاكبر منذ وفاة رب الاسرة فى السنة قبل الماضية ، إن الحمل ثقيل على أخيه والاسرة كبيرة ودخله المحدود من عمله كسائق جرار باحدى الضيعات الحكومية لا يكاد يغطى متطلبات الاسرة الضرورية وهو متزوج وله طفلة . والى جانب إسماعيل هناك أمه وسبعة أطفال ما يزالون صغار السن معظمهم من البنات ، وحين كان إسماعيل طالبا بكلية الحقوق كان يبعث لاسرته بجانب من المنحة المالية التى كان يحصل عليها شهريا من وزارة التربية .

وها هو اليوم قد صار فى حاجة الى مساعدة أسرته له . وأمام هذا الوضع اضطر للعمل فى حضائر البناء بالقرية والقرى المجاورة كعامل ، وذات يوم خطر بباله اسم أحد الشبان كان زميلا له بالكلية والده يشغل خطة رئيس مركز للشرطة باحدى ضواحي العاصمة . لم يفكر طويلا ولم يتدد وعزم على السفر اليه عسى أن يقنعه للتوسط له لدى والده حتى يساعده فى الحصول على جواز سفر ، وكان ذلك الصديق عند حسن الظن فتحدث الى أبيه فى أمر إسماعيل ورجاه مساعدته .

وأقام إسماعيل أسبوعا بالعاصمة فى انتظار النتيجة . وأخيرا تحقق الامل وتمت المعجزة ، لقد صار لديه جواز سفر وشعر بأنه يتحول الى انسان جديد كله تفاؤل وتطلع .

★ ★ ★



تنفس الصعداء وهو يتجه الى قاعة الانتظار المخصصة للمسافرين الى العاصمة الفرنسية فى رحلة الساعة الثانية بعد الظهر بعد أن مر برجال الشرطة والقمارق . وارتقى على المقعد دون أن يتخلص من قلقه نهائيا ووضع حقيبته الصغيرة أمامه على الارض .

كانت القاعة قد بدأت تزدهم بالمسافرين من الرجال والنساء والاطفال ، وهم فى معظمهم من الوطنيين ومن مختلف الطبقات والاعمار ومن مناطق متعددة من البلاد حسبما يتضح من ملابسهم ولهجاتهم المتنافرة . وجاء كهل أسمر البشرة وجلس الى جانبه بعد أن حياه ، كان يبدو عليه أنه من العمال المهاجرين وأنه من أصل ريفى ، وسأله إسماعيل إن كان يسافر الى فرنسا للسياحة أم للعمل ...؟ ويبتسم الرجل ويقول :

- إنى أركب الطائرة للمرة العشرين الى فرنسا ، لقد مضى على أعمل هناك أكثر من عشر سنوات ، لقد صرت أعرفها أكثر مما أعرف بلادى .  
وتنهذ طويلا ثم عاد يقول :

- آش نعملوا ... هكه رب حب .. خبزه ..  
كان يبدو عليه أنه غير سعيد بأقامته بالمهجر . لكن الظروف هى التى فرضت عليه ذلك ، إن الحياة قاسية لا ترحم .

وسأله إسماعيل عن باريس ، عن الحياة فيها ، عن أهلها ، وعن الاوضاع التى عليها الجالية العربية هناك سأله عن رجل الشارع ، كما سأله عن المترو وعن القطار السريع وعن الاثر الذى يحدثه الركوب بالطائرة . وسأله عن أشياء كثيرة أخرى .

كان الرجل يجيب عن أسئلته بصدر رحب وبكثير من الشرح رغم معلوماته المتواضعة فهو رجل ريفى أمى محدود التجربة يكدح من أجل كسب عيشه . وجمع أكبر مبلغ من المال حتى يعود الى بلاده ذات يوم ليعيش حياة هادئة مستقرة . وكان يبدو عليه أنه سعيد بأن يتحدث اليه طالب جامعى ويطلب منه أن يعرفه بفرنسا وبالحياة فيها وبماذا يجب عليه أن يفعل فى تلك البلاد حتى لا يعرض نفسه للمتاعب والمشاكل .

وانساب فى أرجاء القاعة صوت احدى الوظائف بالمطار رقيقا ناعما :  
( الرجاء من ركاب طائرة الخطوط الجوية الفرنسية المتجهة الى باريس التوجه  
فورا الى الطائرة وشكرا ... ) .

وخفق قلب إسماعيل بشدة . وحمل حقيبته الصغيرة ونهض ، ونهض  
رفيقه العامل بالحدود الفرنسية الالمانية كما نهض باقى الركاب وشرعوا فى  
حمل حقائبهم وأمتعتهم . وجاءت احدى المضيفات ومضت تتقدم الجميع عبر  
أحد الممرات المؤدى الى مدارج المطار حيث كانت تربض غير بعيد طائرة  
البوينث الضخمة ، وصعد إسماعيل الى الطائرة وحرص أن يكون مقعده بجوار  
النافذة ، وبعد حين سمع صوت المضيفة عبر مكبرات الصوت الموجودة داخل  
الطائرة تدعو الركاب الى الاقلاع عن التدخين وشد الاحزمة المثبتة بالمقاعد .

كان إسماعيل لم يتخلص بعد من قلقه مرددا بينه وبين نفسه ذلك السؤال  
الذى مضى يلح عليه منذ أن وطئت أقدامه بهو المطار : ( ترى ألا يمكن أن  
يكتشفوا أمره ويمنعوه من السفر ... ؟ ) .

وعلا ضجيج محركات الطائرة . وأخذت تتحرك ببطء على أرض المطار ،  
وتوقفت لحظات . ثم عاودت السير من جديد وزادت من سرعتها قليلا قليلا ثم  
ارتفعت فى الفضاء .

شعر إسماعيل - والطائرة تصعد فى الجو - كأنه يختنق وكان قلبه  
سيتوقف عن النبض لكن ذلك الشعور لم يستمر طويلا وسرعان ما عاد الى  
حالته الطبيعية ، وتنفس فى عمق وشعر وهو يفك الحزام الذى يشد وسطه  
بارتياح كبير ، وأشعل لفافة ومضى يدخن فى نشوة غامرة ، لقد زال الكأبوس  
الذى كان يجثم على صدره ويكتم أنفاسه ، وتطلع من النافذة فشاهد الارض  
والبحر والسحاب . كان منظرا فريدا يثير فى النفس أجمل المشاعر  
والاحاسيس ، لقد تحقق الامل فى النهاية . وها هو يركب الطائرة الى عالم  
بعيد مجهول ليبدأ مرحلة جديدة فى صراعه مع الحياة .

وبباريس أقام عند بعض العمال من أبناء جهته . وبواسطتهم استطاع  
الحصول على عمل باحدى المؤسسات بأجر محترم لكنه أقل من الاجر القانوني  
نظرا الى أنه ليست لديه الوثائق الرسمية التى تخول له حق العمل أو

الاقامة لمدة طويلة بالبلاد الفرنسية التي دخلها بصفته سائحا وهو على أية حال لا ينوى البقاء بها طويلا . وكل همه أن يتوفر لديه بعض المال يساعده على بلوغ الهدف الذي غادر وطنه من أجله ، وبعد أن جمع مبلغا كافيا شد الرحال الى إحدى العواصم العربية بهدف الالتحاق بأحدى جامعاتها . وبعد كثير من السعى والجهد تم قبوله بكلية الحقوق بالسنة الثانية ، ومنح حق الإقامة بالمدينة الجامعة وخصصت له منحة مالية متواضعة كل شهر ..

ومرت الايام ... وبدأت ملاحظته . لقد طلبوا منه الانتساب الى إحدى خلايا الحزب والعمل على ضم أكبر عدد ممكن من الطلبة المبعوثين من أبناء وطنه والبلاد العربية الأخرى الى خلايا الحزب كما طلبوا منه أن يبلغ عن كل طالب يعمل ضد الحزب أو الحكومة أو يحمل أفكارا أو مبادئ مناهضة لنظام الحكم هناك . وصعق لقد جاء للدراسة لا ليكون داعية لاي حزب أو نظام أو جاسوسا على زملائه الطلبة من أبناء وطنه أو غيرهم . لقد صار يمتق السياسة وكل ما يتصل بها . وصار يكره حتى أن يكون له تفكير سياسي ، لقد دمرت السياسة حياته وكادت تسحقه ، ورفض بشدة ما عرضه عليه لكنهم لم يتركوه وشأنه ومضوا يواصلون ملاحظته بطلباتهم ... مقابل أي شيء .. فتحوا له أبواب الجامعة ؟ ومقابل ماذا .. منحوه المال والسكن ؟ .. وحاولوا معه بطريق المساومة والاغراء فلم يفلحوا .. فجربوا طريقة الترغيب والترهيب ففشلوا كذلك ... وحين يشسوا منه بدأوا في التضييق عليه .

أخذوا يتأخرون في دفع المنحة الشهرية اليه رغم تواضعها ، وهددوه بالطرد من المبيت الجامعي . لكنه لم يضعف أو يستسلم ، وذات يوم أخطر بوجوب البحث له عن مسكن خارج المدينة الجامعية ، وذهب للاقامة مع أصدقاء له من الطلبة السودانيين كانت لهم شقة باحد الشوارع الرئيسية بالعاصمة . وقطعت عنه المعونة المالية وكانت السنة الدراسية تقترب من نهايتها . تالم كثيرا وازداد سخطا ونقمة ، وشعر بيأس قاتل مرير . وفكر في ترك تلك البلاد لكن أصدقاءه السودانيين منعوه من ذلك وألحوا عليه في البقاء ووقفوا الى جانبه في محنته واعتبروه واحدا منهم وطلبوا منهم ألا يهتم بأي شيء ..

كان لا يترك دقيقة من وقته تمر دون أن يستفيد منها في الدرس والبحث الامر الذي جلب له احترام وتقدير جميع أساتذته ، وحن موعد الامتحانات



وجاء وقت الحصاد ونجح بدرجة جيدة ، وكان نجاحه أعظم تعزية له وتعويض عما كابدته في سنته تلك .

وسافر الى فرنسا للعمل بها فترة الصيف . وأثناء اقامته هناك سعى الى سفارة احدى البلدان العربية وناقش معهم امكانية سفره الى القطر الذي تمثله تلك السفارة لغاية الدراسة ، وبعد عدة لقاءات مع الملحق الثقافي ستجيب لطلبه ، وذات يوم ركب الطائرة وكله أمل وتفاؤل الى ذلك البلد الذي طالما سمع عنه من قبل ، ولم تمض غير بضعة أسابيع من الحزب الحاكم ، بدأت المساومات والمضايقات ، نفس العروض والطلبات قتي تقدموا بها اليه في ذلك القطر العربي الذي أقام به السنة الماضية ، وضاق باقامته ذرعاً في مقره الجديد ولم يستطع أن يصبر طويلاً فاضطر لقطع دراسته والسنة الدراسية ما تزال في بدايتها والسفر الى بلد عربي آخر ، وهناك شرح للمسؤولين الذين قابلهم الظروف التي أحاطت بخروجه من بلده وما صادفه بعد ذلك بدينك القطرين العربيين .

وبعد أخذ ورد قبل للدراسة بالسنة الثالثة بكلية الحقوق ، قالوا له إنهم لن يطالبوه بشيء ولن يجد بأرضهم ما يضايقه ، لكنهم سرعان ما عادوا وطلبوا منه أن يعلن عداوته لبعض أنظمة الحكم في عدد من الاقطار العربية من بينها بلده وأن يعمل على نشر المبادئ والاطروحات التي يبشر بها نظام الحكم هناك.

ومضى يتحایل عليهم ويراوغهم الى أن انتهت السنة الدراسية ومن حسن حظه فاز في الامتحان ، وغادر تلك البلاد الى غير رجعة .

عاد الى فرنسا لقضاء الصيف كعادته ، وذات يوم وبأحد مقاهي الحى اللاتيني التقيت به صدفة ، ودار بيننا حديث طويل وبينما نحن ننتهي لمغادرة المقهى قال لي :

– لقد قررت البقاء هنا نهائياً . قلت :

– لعلك تعنى الى أن تكمل دراستك ثم تعود الى الوطن ؟..

تنهد طويلاً ثم قال :

– قد أعود !..

– لعلك تنوى الذهاب الى قطر عربى ما للاقامة به بعد تخرجك ؟..

– لا إطلاقا ، لقد سبق أن قلت لك : إننى لا أنوى مغادرة هذه البلاد الى أى مكان آخر ، إنهم هنا لا يطلبون منك أى شىء سوى أن تحافظ على احترام القانون ، ولا يمنعون عنك أى شىء هو من حقك ، لقد عشت غريبا ملاحقا فى وطنى العربى ولم أشعر بانسانيتى الا هنا ، هنا يرمى الانسان وتحترم ارادته وتقدر حريره ، ويسخر كل شىء من أجل راحته وسعادته ... صدقنى لقد صرت أضيق بنسبى وفى أحيان كثيرة أشعر بتفاهتى حتى الاعماق لمجرد أننى عربى ...

– الى هذا الحد ؟..

– وأكثر ، لو عشت التجربة مثلى لاحسست بمثل ما أحسست به ولما تعجبت من قولى هذا .

– لكن قل لى الى متى ستظل هاربا من وطنك وتتهرب من مواجهة ؟  
واقعه ؟..

– أنا لست هاربا من وطنى العربى ولا من مواجهة واقعه المشوه البغيض لكنى هارب من السياسة ،... إن التجربة السياسية فى جميع أقطار وطننا الكبير ، لم تنضج بعد ولم تكتمل ، والعمل السياسى عندنا ما يزال مجرد لعبة لكنها لعبة خطيرة ، ويبدو أننا ما نزال نجهل ذلك حتى الآن ، وحين اكتشفت حقيقة اللعبة قررت التخلي عن الاشتراك فيها بعد ذلك .

– إذن فأنت لا تنوى العودة الى أرض الوطن أو الذهاب الى أى قطر عربى للحياة فيه ؟..

– لا ليس الآن وقد أفعل فى يوم من الايام ..

– متى ؟..

وأطرق لحظة قبل أن يجيب عن سؤالى . ثم قال بصوت يفيض بالمرارة والالـم :

– لقد صهرتنى التجربة وكادت تطحننى . لكن بقى أن ينتصر الانسان فى وفيك ومتى حدث ذلك حتما سوف أعود ..

محمد الخموسى الحناشى

20 جانفى 1980

## عرس الريح ، ،

● ● كانت تحيا فى منأى عن الاهواء .. لا تملك اكثر من قلب ، وتداعبها  
احلام مجنحة .. ثم ضاع كل شيء ...

كانت الشمس قد افلتت ، بينما هو يفكر بملل وكآبة . ضجيج المحرك قد  
أثقل رأسه وأبعد عن نفسه الصفاء .

متعب ، والفكر مؤرق .. كأن هاتفا قد داعبه ، وأوحى له بأن نجمته فقدت  
بريقها .. قطع سفره وآب عائدا دون سبب .  
(توهجت شمس حمراء ابتلعها بحر عميق ..)

عاد التشوش يخضب عقله . يداخله الشوق الى زوجته .. لم يعد يحتمل  
فراقا .. لقد شعر باهماله لها فى الآونة الاخيرة بسبب أعماله وأسفاره  
المتتابعة . تصور المباغثة التى سيحملها اليها ، وقد عاد من سفره على غير  
ميعاد !

اهتزاز مباغت فى المركبة ، يفقد الركاب متعة النوم والغطيط المتقطع .. فى  
الاعالى نجمة خلافة تبدد ضياؤها ..

بينما هو مستغرق فى تأمل طرف السماء ، مع ليل مسافر تعاوده الهمسات  
الكثيبة . ينداح من أعماقه فحيح شيطان مارد ... يفكر بعروسه بهيرة ...  
هى فتاة صغيرة تشبه نجمة بيضاء متلألئة فى الاعالى .. انها شعاع من الشمس  
يتسلل الى زنزانة سجين ..

« والدى لا يقبل ان يزوجنى الا من غنى !! »

كلما بدأ فى التفكير وقع فى دوامة او متاهة .. يفيض صبره !! هذه المشاعر  
والافكار تراود كلما سرح خياله اليها ..

« تجمع تغريد الطيور فى صوتها .. »



جموح الرغبة أملت عليه العودة نحو البيت .. تجذبه ضحكتها الخضراء ..  
تطلع الى السماء ، راقب النجوم فى المسافات الفسيحة ، وهدير مركبة تطوى  
الارض بسخاء . ما زال يرقب شلال الضياء ..

« لم استطع البوح بحبى .. »

الشك مفتاح الشيطان . اسلمه التفكير المضنى الى دوار خفيف ..

« فى العالم ترتكب مهازل قدرة ... »

عبر كل ظلام .. يعتقد عالم النساء فى الغرف . يتعرين من ثيابهن ويستلقين  
على ظهورهن ، فى عالمهن الحقيقى ..

« حسن شاب طموح . لم يستطع أن يتقدم لخطبتى بسبب فقره .. »

انبثق الحقد من قلبه . فكل لحظة تمر ستبعده عن بهيرة . لكنه ارتعش  
اليها ، وامتزج الحقد والشوق معا .. تعانق فحيح الشهوة والغضب !! ها هو  
العالم مكتظ ببشر أحياء ، خاضعين للنزوة والآهة المنسلة من العظم ..

.. هل تحب النجوم ؟

— أحبها كثيرا .. يا نجمتى .

— متى يزول السحر ؟

— ما تقصدين ؟ سحر النجوم أم سحر المرأة !

الحق فى شرايينه يلقي بأنشودة خشنة ، ثار كالريح .. لقد ادرك ان  
زوجته وحيدة تعانى من فراغ ابكم .. المال الذى اغدقه عليها لم يوصله الى  
اعماقها .. انه يعرفها ! انها تحب مخدعها ، مستلقية على السرير ، شعرها  
متناثر على وسادة ناصعة . وانفاسهما متلاحقة بنشوة باهرة ..

« سحر المرأة يتجلى باخلاصها ووفائها . مثل النجوم عندما تتباهى ببريقها  
الهادىء الجميل . »

استسلم لسبات مضطرب ...

زوجتى التى أحبها سآكل فمها ، أنهش لحمها الدامى الطرى ..

اسمع حركة ضئيلة ...

سأذبحها !!

تصدر عن جسديهما موسيقى ثملة معربة .. صاح فيها بوحشية :

- من هذا يا بهيرة ؟
- انه حبيبي حسن !
- كيف تجراين ؟
- من المفروض ان يكون زوجي قبلك !!
- الخائنة .. سوف الطخ وجهي بدمها الساخن ، ثم أجعلها عبرة لكل بنات حواء . جار بها بقسوة :
- ولكنى أنا الزوج الحقيقي .
- أنا لم أتزوجك ! أبى هو الذى فعل . سحقا لشهوة المال !..
- « سأنام مرتاح البال ... يستيقظ فى داخلى رجل شرقى صلب الارادة ..
- تحرك فى أعماقى الغضب !! »
- ولكنك ملكى ، وقد قبض أبوك الثمن !
- .. لحم ابيض حار يتمزق ..
- لا تنس . بأنك لم تستطع أن تشتري قلبى !
- يا فاجرة .. اين اخلاصك المزعوم ؟!
- النصل الحاد يوزع الطعنات بجنون .. الدم الاحمر ينبثق من اللحم الحار ..
- السماء حديقة زرقاء بلا أشجار .. تخضبت .. ارتوت بالسائل الاحمر القانى .
- ويجتاح الليل الهادى هدير رياح ... ربما لم يعد نادما على ما فعلت يداه !!
- أفاق من نومه ، على اثر هزة قاسية .. تنهد بارتياح بعد أن فارقه الفزع .
- أدرك ان ما حدث لم يكن الا حلما !..
- بعد سفر منهك ، واحلام مزعجة ، حطت به المركبة فى وسط المدينة ...
- ذهب الى بيته مكدود القوى .. استأنى برهة أمام الباب ، وقلبه يخفق بشدة ..
- الوقت متأخر .. لقد تجاوز منتصف الليل .
- فتح الباب بحذر . دلف الى غرفة النوم بخطوات بليدة . عصف قلبه فزعا
- مما استقرت عليه عيناه !!
- جمد برهة ... تصلبت أطرافه .
- تساءل .. كيف يجد نفسه مستلقيا بجانب زوجته ، وهو ما زال واقفا على قدميه !.. والجسدان فى التحام كامل ..؟

نادر السباعي  
(حلب)

## الابن المطيع

كان وجه جدتى كالصفحة المكتوبة . فقد رسمت الايام عليه بتجاعيدها أسطرا تحكى كل ما حوته حياة طويلة رتيبة من أتعاب ومشاق ، وانفعالات ، وعواطف ، وافراح ومسرات . أما جسدها فقد كان مثل الدالية فى فصل الشتاء ، وقد تعرت اغصانها من كل أوراقها . الا ان ذلك الجسم اليابس الجاف كان مملوءا حيوية ونشاطا وذلك الوجه المتجمد كان يطفح جاذبية وبشاشة . ولذا فقد كنا - نحن أحفادها (\*) كذلك كل ابناء الجيران - نحوم حولها ونطوف بها كالكتاكيت حول اهمم الدجاجة . وأكثر ما كان يشدنا اليها حكاياتها العديدة المشوقة ، طويلة كانت أم قصيرة ، والتي لم تكن تبخل بها علينا خاصة فى ليالى الشتاء الطويلة وسهراتها المرفوقة بالشاى الفائح والقسطل الساخن .

كانت جدتى تتمتع بقسط وافر من اللباقة والفصاحة وحسن التعبير مما جعل حكاياتها تنطبع فى ذاكرتنا وتبقى راسخة فيها عالقة بها رغم مرور السنين وتباعد الزمان . واليوم بعد ان انتقلت جدتى الى الرفيق الاعلى ، وبعد ان دب الشيب فى رأسى ورؤوس كل من كان معى يستمع الى حكاياتهما ، لا تزال تلك الحكايات عالقة بأذهاننا وأبطالها ماثلين أمام ابصارنا كأنها لم تسرد علينا الا منذ وقت قصير . ولا أزال أذكر بكل وضوح وكل التفاصيل تلك الحكايات التى كانت جدتى تسميها حكاية الصياد الطيب وأنا سأسميها قصة الابن المطيع .

قالت جدتى :

« كان فى قديم الزمان بلد مزيان فيه كل ما يشتهى الانسان . وفى احدى قرى الساحلية ، كانت تعيش أرملة فقيرة ، مات زوجها تاركا لها ولدين فى سن مبكرة ولم يترك لها ما تعولهما به . فلم يكن من المسكينة الا ان شمعت



عن ساعد الجد والكد . وجعلت تعمل فى بيوت الموسرين والاغنياء المتسرفين  
لتحصل على ما تقتات به وطفليها .

ومرت الايام والام المسكينة تجهد وتكدح حتى لا يعدم ابنها شيئا . الا ان  
اكبرهما كان كثير الطلبات مشطا فيها مما كان يزيد فى حزن الارملة وآلامها ،  
ويجعلها تكد صباحا مساء ، وتقوم بشتى الاعمال فى سبيل توفير كل ما  
يريده ذلك الابن المطالب ، الذى ما ان كبر حتى اصبح فظا غليظا لا يعامل  
أمه بالخشونة والتهديد والوعيد . وكانت هذه التصرفات تحز فى نفس أخيه  
الاصغر الذى لم يكن يترك فرصة تفوق ليتلطف مع أمه ويواسيها ويعدها  
بالمساعدة متى استطاع العمل .

ولم تكن مجرد وعود . فما ان اجتاز عتبة الطفولة حتى خرج يبحث عن عمل  
يمكنه من الاسهام فى حاجيات البيت ، وان اسعده الحظ ، استطاع ان يعوله  
وحده ويريح أمه .

وقادته الاقدار الى شيخ من أشهر صيادى البلدة . فاستلطفه هذا وأعجب  
بأخلاقه وتربيته . وقرر أخذه معه ؛ فهو قد تقدم به العمر ، وأصبح فى حاجة  
الى من يساعده على أخذ الحبال وجمع الشباك أو دفع العربا الصغيرة التى  
ينقل عليها الاسماك الى السوق .

وأحسن البر عاجله ؛ ففى اليوم الموالى التحق الطفل بالعمل مع ذلك  
الشيخ الكريم الذى سرعان ما تعلق به ، وجعل منه ابنا يحنو عليه ويحيطه  
بعطفه وعنايته ولا يالو جهدا فى تعليمه كل قواعد المهنة وأسرارها . أما  
الولد فكان يبذل كل انتباه وتبصر ليكون عند حسن ظن ذلك الشيخ الكريم ،  
وليتعلم ما أمكنه التعلم ليصبح هو أيضا صيادا ماهرا . ويستطيع بذلك اراحة  
أمه من عناء العمل خارج البيت ؛ فقد ضحت المسكينة بما فيه الكفاية وقد  
هدمت الاشغال كل جمالها ونضارتها فشاخت قبل الاوان .

وفى هذه الاثناء كان الابن الاكبر مستمرا فى لعبه ولهوه ، مواضبا على  
غلطته وفظاظته ، متشددا فى طلباته دون ان يتورع من استعمال العنف مع  
أمه فى بعض الاحيان . أما الام المسكينة ، فلم تكن تقابل كل ذلك الا بالصبر  
والدموع الساخنة تتركها تسيل فى صمت على خديها كحبات مسبحة تصرمت  
فتساقطت متتالية كابتهالات قلب تلك الام الكبير .

وتتابعت الايام وكبر الولدان متقدما كل منهما فى طريقه . هذا فى عقوقه وسوء سيرته والآخر فى طاعته وعمله ؛ أخذ هذا الاخير عن الشيخ ما تحتاجه المهنة ، وأتقنها أيما اتقان حتى صياد عرفته القرية كما أخذ قاربه الذى تركه له بعد وفاته . لكن الله يسوق الرزق لمن يشاء وكيف يشاء ، فرغم مهارة البحار ولياقة القاب وحجم الشباك وساعات العمل بالليل أو بالنهار ، لم يكن المحصول ليكفى لسد حاجات العائلة خاصة ان الاخ الاكبر قد زاد فى طلباته ووسع نطاقها ونطاق غلظته لتشمل كذلك الاخ الاصغر ، فالحياة فى البيت اصبحت جحيما : نقاش وشجار وخصام بلا انقطاع ، صياح متواصل وصراخ مستمر ، فقلت الراحة وانعدم الهناء .

فى ليلة من ليالى الشتاء القارسة ، عصفت فيها الريح بجنون ، وتهاطلت فيها الامطار بلا انقطاع ، وقصف فيها الرعد مصما الاسماع ، ولمع البرق آخذا الابصار اشتد الخصام بين الاخوين وبلغ اشده فادعى الاخ الاكبر - فى سورة من غضبه وتحت تأثير الخمر التى كان يتعاطاها بلا انقطاع - ان الخصاصة التى يعانونها ناتجة عن جهل أخيه بوظيفته وعن كسله . فهو أقدر منه واعرف بالصيد وغير الصيد وسيعطيه دليلا على ذلك . هكذا قال وانطلق يجرى نحو الميناء بينما العاصفة فى أشدها .

<http://Archivebeta.Sakab.com>

وظن الاخ الاصغر انه لن يتعدى الحانة القريبة حيث يحتسى كأسا او اثنتين من شرابه المحبب ويعود . لكن امه - وقلب الام مخبرها - قد اقنعت به بان اخاه لاشك ذاهب الى الميناء والخروج بالقارب . فجرى المسكين الى هناك وما راعه الا ان اخاه قد حل حبال القارب وأخذ يستعد للابتعاد به عن الرصيف . فقفز الاخ الاصغر دون وعى الى القارب وحاول منع أخيه مما أراد الا ان ذلك العنيد قد تمسك برأيه ، فنشب بينهما صراع عنيف بينما الامواج العارمة والرياح العاصفة تحملان القارب الى داخل البحر . وما هى الا دقائق حتى كان القارب بمن فيه بعيدا عن الشاطئ ، تتقاذفه الامواج ككرة قدم بين أرجل لاعبيها . وفى لحظة قوية من موجة عالية خسِر الاخ الاكبر توازنه فسقط الى الاعماق . وفى الحين شد أخوه حبلا الى حزامه وارتمى الى الماء عله يساعد ذلك العنيد الغليظ . ولكن ذهبت مجهوداته دون جدوى ؛ فقد صاح ونادى وطاق سابحا يمنا ويسرة فلم يعثر على أخيه . ونزل الى الاعماق مرة تلو

الآخرى بحثا عنه فلم يجد له أثرا . وفى آخر تلك المحاولات اسطدم بشيىء ظنه جثة أخيه ولكن سرعان ما عرف انه صندوق . وبجهد وعناء استطاع - بعد محاولات عديدة - ان يصعد به الى سطح الماء ويشده الى قاربه الذى تصارع ضد الامواج العاتية والتيارات القوية ليصل به فى النهاية الى الميناء .

كان الشاب تعباً منهك القوى ترتعد فرائصه من البرد والبلل . ورغم كل ذلك فقد جمع قواه أو ما تبقى منها وحمل ذلك الصندوق الثقيل وعاد به الى بيته . هناك وجد أمه تتلظى حيرة وقلقا عليهما ، فرمى بالصندوق بين يديها وسقط مغشيا عليه من شدة التعب والاجهاد . فهرولت الام نحو ولدها الحبيب وغيّرت له ثيابه المبللة ، وأحضرت له مشروبا ساخنا حتى عاد الدفء اليه ، فأفاق من غفوته . وبصوت مملوء بالحزن والالام قص على أمه كل ما جرى وما حدث لأخيه . فبكت الأم الحنون على ولدها الفقيد ودخلت فراشها تحمل معها دموعها وآلامها لتسهر معها ذاكراً ذلك الولد الغريق رغم كل ما عانت منه من آتاعاب وإهانات . فقلب الام اكبر واسمى من ان يحمل حقدا على ولد او يضمم كراهية لاحد .

وفى الصباح الباكر نهضت الام الحزينة متثاقلة وأحضرت القهوة لولدها الاصغر وذهبت بها اليه . وعنددها رأت الصندوق الذى أتى به البارحة ففتحتة واذا به مملوء ذهباً وفضة . «

وتختم جدتى حكايتها قائلة :

وعاشت تلك الارملة فى سعادة وهناء مع ولدها الطيب الذى تزوج وخلف لها أحفادا مثله فى البهاء والطيبة .

محمد عبد الكافى



## القصص القصيرة والروايات التونسية

1978 - 1979

بقلم : جان فونتان

تعريب : ابو بكر العيادي

ما غرض مثل هذه المقالة (\*) ؟ بما ان السؤال قد طرح على ، فمن واجبي الاجابة ان الغرض الذي انويه هنا هو تقديم الانتاج الادبي التونسي الى غير قراء العربية خارج تونس ، واضعا في الحسبان أمرين اثنين ، أولهما عدم وجود أية دورية تعنى بعرض شامل لكتب النشر الصادرة في البلاد ، وثانيهما ان ثلثي اعداد مجلة ابلا يرسلان الى الخارج . لذلك ارى فائدة في نشر دراسة شاملة تكون مرجعا لازما لمؤرخ الادب . اذ لا أثر لقائمة كاملة لمجاميع القصص والروايات . فكثيرا ما تكون المعطيات البيوغرافية غائبة عن غلاف الكتب فيقتصر القارئ على التخمين ولجأت كذلك الى احصائيات لان ارقام المسؤولين عن النشر ليست دائما صحيحة . ولان علم الاجتماع في الادب يستوجب قواعد مضبوطة . يبدو لي ان جملة هذه الحجج تبرر كثيرا مشروعى .

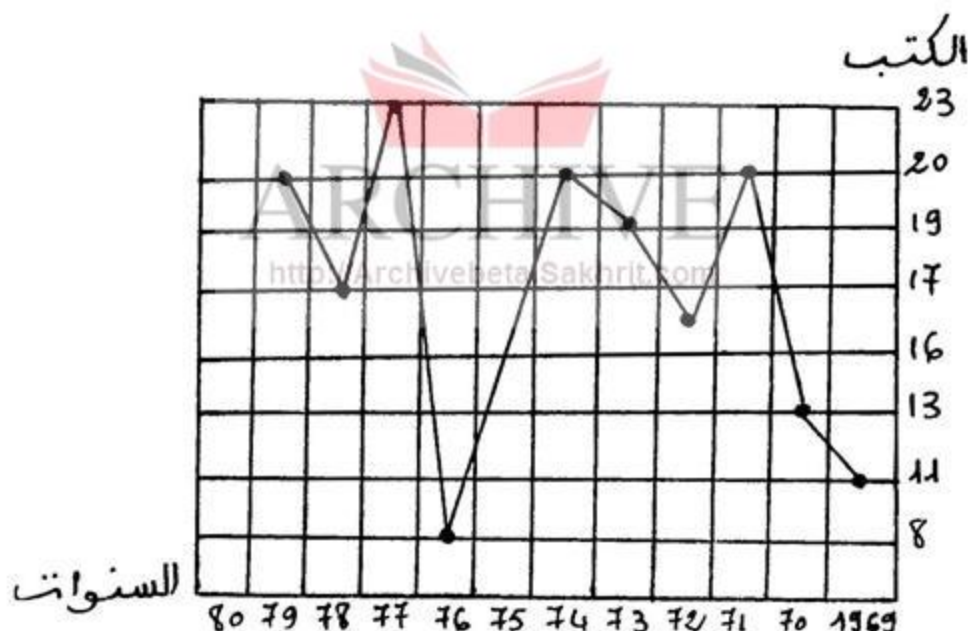
هذا المشروع تحدد اثر مسعيين . فى الاولى ، بداية من عام 1959 وقعت ترجمة الكتاب التونسيين كلما صدر لهم انتاج ، وتوجد القائمة الكاملة لكتاب النصوص المترجمة الاثنين والثلاثين فى ابلا عدد 133 (1974) ص 163 - 164 . والمسعى الثانى هو الذى أوصله اليوم . وقوامه تحرير شميعة عن سنة أو سنتين فى محاولة لوضع الاعمال فى اطارها الثقافى . فقد نشرت ثلاث حوليات لسنتى 1973 - 1974 فى ابلا عدد 137 (1976) ص 121 - 132 ( هذه الحولية اعيد نشرها كاملة فى «عشرون سنة من الادب التونسي 1956 - 1975» تونس . الدار التونسية للنشر . 1977 ص 33 - 54 ) ؛ لسنتى 1975 - 1976

(\*) سيلاحظ القارئ بعض اختلاف عن النص الاصل المنشور بمجلة ابلا عدد 146 (1980) . فقد وقع باتفاق مع كاتب المقالة حذف مقاطع تهتم القارئ الفرنسى وتصحيح بعض احالات - المترجم .

فى ابلا عدد 140 (1977) ص 303 - 317 ولسنة 1977 فى ابلا عدد 142 (1978) ص 317 - 328 .

### مشاكل النشر

خلال الجلسة العامة لاتحاد الكتاب التونسيين يوم 28 ديسمبر 1979 وكذلك أثناء آخر جلسات ملتقى النقد يوم 2 مارس 1980 بالحمامات ، ذكر مسؤولون أرقاما ليشعروا المؤلفين ان النشر بخير . ولكن التأكيدات الكلية خاطئة لانها تتناول بلا تمييز الانتاج المطبوع دون اعتبار اعادة الطبع واجزاء الكتاب الواحد ... يبدو لى من المفيد تقديم جدول احصائى دقيق عن مجموع الاعمال الابداعية (نقد ، دراسة ، قصة قصيرة ، شعر ، رواية ، مسرح) المطبوعة فى تونس خلال السنوات العشر الاخيرة ، وبذلك نستطيع ان نحدد المكانة التى تحتلها فى جملة النشر .



ونتيجة لان دور النشر القومية الكبرى بدأت تتوانى فى طبع الاعمال الابداعية حصل تشتت غريب ، وانبعث دور نشر خاصة . فاصدرت دار القلم مجموعة قصص للاطفال ضمت الدفعة الاولى خمسة عناوين . وأسس الصادق شرف مجلة الاخلاء المخصصة اساسا للمؤلفين الشباب الذين ساهموا ماديا فى المشروع . ويمثل العدد الخاص غالبا مجموعة شعرية لمؤلف واحد . أما دار الجديد فقد جمعت أساتذة ومربين منذ اكتوبر 1977 لتقف فى وجه ببطء النشر المألوف . ورغم تخصصها فى المواد البيداغوجية فانها تصدر كذلك

عناوين أدبية ومجلة للأطفال «ازهار» التي تسحب 40.000 نسخة ولكن التجربة التي بدت لنا اكثر جدة وطرافة هي صفاء التي جمعت في جانفي 1979 عشرة كتاب اشتركوا في رأس مال مبدئي قدره 10.000 دينار تونسي وقرروا نشر اربعة أعمال سنويا واربع قصص للأطفال . همهم في ذلك : تجنب كل خطأ مطبعي والبيع بسعر مناسب . ويسحب من كل كتاب بمعدل 3000 نسخة .

وفي نهاية عرض مشاكل النشر نشير ان عشرا من خمس عشرة مجموعة شعرية صدرت خلال الفترة المدروسة هنا (1978 - 1979) على نفقة اصحابها ، وهذه النسبة تغني عن كل تعليق .

اخيرا يجدر التحدث عن سعر الكتب الادبية ، حسبنا لهذا الغرض سعر الصفحة الواحدة في المجموعات القصصية والروايات المنشورة في 1978 - 1979 ، الرقم الاول هو معدل السعر ، الارقام التي بين قوسين تمثل اسعار مختلف الكتب التي نشرتها نفس الدار ، نحصل على القائمة التالية :

4,3	مليامات الصفحة	على نفقة المؤلف
5		الشركة التونسية للتوزيع
6		الدار التونسية للنشر
6,5 (6 - 6,6 - 7)		الجديد
7,4		الكتاب (سوسة)
7,6 (5,3 - 7,4 - 8,6 - 9)		الدار العربية للكتاب
7,9 (7,5 - 8,3)		صفاء
10		ابن عبد الله

نلاحظ الفوارق البينة في سعر الكتاب الادبي في تونس ، من ناحية تتراوح الاطراف في النسبة من 1 الى 2,3 . ولكن من ناحية اخرى تتطور الاسعار بنفس الدار في علاقة من 1 الى 1,7 . كيف يستطيع القارئ ان يجد نفسه في كل هذا ؟ هل يجب التذكير بأن اتحاد الناشرين التونسيين الذي عقد جلسته التأسيسية يوم 16 جوان 1972 هو جمعية ولدت ميتة ؟ وأذكر هنا ان معدل سعر الصفحة سنتي 1973 - 1974 تراوح بين 6,6 و 11 مليما .



في الدراسات الثلاث السابقة اعتمدت تصنيفا حسب محتوى الاعمال المطروحة ونوعيتها مستوحيا معايير مستمدة مما كتب في تلك السنوات .



ولكن لماذا لا نحاول إعادة التصنيف المقترح اول مرة في « الجدول العام للادب الناطق بالعربية في تونس منذ الاستقلال » المنشور بمجلة « الف » 4 - 5 (1974) ص 10 - 21 والمعاد في « عشرون سنة من الادب التونسي » المذكور آنفا ص 9 - 32 ؟ لا أجهل ما في هذا التصنيف مما وقع تجاوزه جزئيا ولكن له الفضل في الاستجابة لمقاييس مضبوطة ويشكل بذلك نقطة استدلال دقيقة لتاريخ الادب المعاصر في تونس .

هذه اولا قائمة الكتب المحللة في هذه الدراسة ( مرتبة حسب الحروف الهجائية ) :

حسن نصر	:	52 ليلة
حياة بن الشيخ	:	بلا رجل
سالم بوميزة	:	حديث المسافر
عبد القادر بلحاج نصر	:	البرد
عبد المجيد عطية	:	خطك رديء
عمر بن سالم	:	واحة بلا ظل
محمد الحبيب براهيم	:	انا وهى والارض
محمد صالح الجابري	:	كيف لا احب النهار
محمد العش	:	الهارب من الزواج
محمد العابد مزالي	:	على مرقص الاشباح
محمد المختار العبيدي	:	الضحك بلا حد
محيى الدين بن خليفة	:	اشباح السوق
مصطفى الفارسي	:	حركات
ناجية ثامر	:	التجاعيد
نافلة ذهب	:	أعمدة من دخان

## الادب الكلاسيكي

نشرت ناجية ثامر (I) كتابها السادس خلال عشرين سنة : التجاعيد (2) وهي مجموعة قصصية تضم خمس عشرة قصة قصيرة من النوع الذي عودتنا به الكاتبة فهي تصور لنا أساسا في كتابة خالية من المفاجآت مشاكل الاسرة وهي الموضوع السائد في كل النصوص تقريبا ، اذا استثنينا حالة سطو لم يتم لان ابن الحارس الذي يجب صرعه مريض (ص 18 - 24) واقصصتين عن حالات نفسية معينة : من جهة ، امرأة في الخمسين ما زالت تريد ان تلعب ادوار فتاة ولكن التجاعيد يمكن ان تختفى لوقت معين فقط . ثم لماذا العيش في الماضي ؟ (ص 92 - 98) . من جهة أخرى حالة سرطان مهدد جعلت هدرا كل عملية جراحية وأدت الى اليأس (ص 99 - 104) .

كل النصوص الاخرى تتناول العلاقات داخل الاسرة في مختلف مراحل تطورها . في المرحلة الاولى السؤال المطروح هو الى اي مدى يمكن ان تصل طاعة الوالدين حين تجبر الفتاة على الاختيار بين الخطيب والعائلة (ص 73 - 79) . أو هل من الممكن استمرار العيش في ظروف صعبة حين يموت الوالد ويحاول المتبنى اغتصاب يتيمة قاصرة مجهولة النسب (ص 86 - 91) وتمثل الخطوبة المرحلة الثانية : المغامرات لا تجدي ، عند الهروب ماذا يمكن ان نريد والى اين نذهب ؟ تراكم الاعتذارات نجاة الاسرة يفرض التساؤل : ماذا جنيت ؟ (ص 45 - 51) في غمرة الاحتفال بالخطوبة وقبل ان يسافر الشاب الى اروبا لمواصلة تعلمه تمنحه الفتاة نفسها . لذا فهو يتخلى عنها (ص 38 - 44) . عندما يعود ابن العم ميسورا تبتهج الام لفكرة ان يصبح زوجا لابنتها رغم انها تصغره بعشرين عاما . تفكر الفتاة في الهرب مع من تحب ولكن تكسر رجلها في المدرج (ص 58 - 65) . يتم القران مع شاب أرمل رغم انه خنق زوجته الاجنبية

(I) التعريف بالكاتبة وتحليل أعمالها في «عشرون سنة من الادب التونسي» ص 92 - 96 . وقعت ترجمة احدى قصصها ترجمة كاملة في ابلا ، I3I (1973) ص 125 - I3I . نضيف الى هاتين الاحاليتين حديثا أجرته معها المسيرة في 9 أفريل 1971 ومقالين نشر الاول في العمل بتاريخ 18 جانفي 1973 والثاني في الصباح بتاريخ 25 جانفي 1973 .

(2) التجاعيد . تونس . الدار العربية للكتاب 1978 - III صفحة .

لعدم تفاهمه معها . وفي المرحلة الثالثة نصل الى جوهر مشاكل الزوجين . هذه المرأة تظل مع زوجها لاجل ولديها لكنها في الواقع تحس نفسها أمة (ص 105 - 110) . أما هذا الزوج فله امرأة مبذرة : انها اليتيمة التي كانت تعالج والدها المريض، ويضطر هو الى العيش عن طريق التسول (ص 66 - 72) الام التي تزوجت من جديد اثر موت زوجها مباشرة ترفض من ثم العناية بابنتها التي تستغلها أمها بالتبني (ص 31 - 37) . هذه الاخيرة موظفة يمرض زوجها فتخونه بمرح مع أحد زملائه القدامى (ص 5 - 11) . وآخر مرحلة من حياة العائلة نرى الاطفال ينصرفون وهو شيء مكدر خصوصا عندما يتعلق الامر بابنة وحيدة والدها يظنان بعدها في وحدة (ص 12 - 17) تستطيع العائلة الضغط على الزوج ليطلق زوجته العاقر . الزوجة الثانية تنجب خمس مرات وتأتي بأفواه جديدة يجب تغذيتها (ص 52 - 57) .



اسلوب مجموع هذه الصفحات شديد الوعظ يذكرنا الى حد بعيد بأسلوب الكتاب الرابع لمحمد العش (3) الهارب من الزواج (4) . الصفحتان الاوليان نداء الى القارئ المحتمل لحيته على ان يجد نفسه بنوايا الطيبة في الرواية . هذا القصد يعاد التذكير به في آخر الكتاب في رسالة الى «أخي الانسان» لبيان ان الماضي وقع عرضه هنا قصد تغيير الحاضر ، وأخيرا فالكاتب يتدخل باستمرار في حبكة الرواية ليوضح الغرض منها .

جزآن متساويا الحجم يحاولان تحديد بيئة جيلين ومشاكلهما . الجزء الاول في بداية القرن بالوسط التونسي . يشغل المستعمرون الفرنسيون عمالا قادمين من صفاقس ، يتدانون في الاعراس فيتناولون عما يملكون من اراض لتسديد الدين . انها سيطرة القوة . ولكن حياة العملة الفلاحيين معروضة بطريقة وجدانية باستحضار السهرات والشعر الشعبي والامثال : « كن مؤمنا دائما واعلم ان العمل يرفع قدرك » .

(3) التعريف بالكاتب وتقديم كتابه الاول في ابلا 37 (1976) ص 124 - 125 أعيدا في «عشرون سنة من الادب التونسي» ص 40 - 41 . تحليل العمل الثاني في ابلا 142 (1978) ص 317 - 318 .

(4) الهارب من الزواج ، صفاقس . مطبعة الجنوب 1979 . 34 صفحة .



يروى احد الفصول (ص 47 - 69) حكاية مثالية عن فائزة التي تتبع التقاليد القبلية ، فترفض ان تمنح لقائد غنى وتفقد زوجها الذي يحارب مع الجيش الفرنسي وترى والدها ينتحر يائسا إزاء تراكم ديونه من القائد فتقتل هذا الرجل قبل ان ترمى بنفسها فى بئر .

ويدور الجزء الثانى فى صفاقس هذه الايام حيث يسعى الناس الى تسلق السلم الاجتماعى وحيث يبدى الاغنياء مركب تفوقهم . مرض سفيان ابن احد المالكين الاثرياء ولم يشف رغم علاجه فى اوروبا . أراد اهله تزويجه من قريبته سالمة ابنة احد الفلاحين الموسرين والتي ترفض هذا الزواج ثم ترضخ أمام مساومة والديها . ولكن سفيان سرعان ما يموت . ولكى لا تذهب سالمة بالمليونيين ثمن «الجهاز» وقع التخطيط لتزويجها من قريب آخر ولكن هذا الاخير طلب تمكينها من حريتها . فترغب فى الزواج من جار فقير زاملها اثناء دراستها الثانوية ، فيتعرض شيخ القبيلة بشدة ، ولكن والد الفتاة يوافق يائسا نظرا لماضى جد المتقدم المثالى (المصور فى الجزء الاول من الرواية) .

عند الانتهاء من قراءة هذا الكتاب نشاءل بصدق هل ان العواطف النبيلة تكفى لخلق ادب جيد ، بالاضافة الى ذلك هل ندفع بالواقعية حد تمجيد وزير التربية القومية مرتين مع ذكر اسمه (ص 25 و 130) ؛ أليس فى هذا خلط فى الانماط ؟



### المؤلفات الوطنية

نستهل هذا الركن بذكر صاحب مصنفات فى مواد مختلفة ، غزير الانتاج : محمد صالح الجابرى (5) فقد نشر ما لا يقل عن عشرة كتب فى عشر سنوات فى ميادين متنوعة كالنقد والمقال والقصة القصيرة والرواية وتاريخ الادب . النص الذى نعرضه هنا هو فى الواقع مسرحية نالت جائزة بلدية تونس

- (5) التعريف بالكاتب وترجمة جزئية فى ابلا I26 (I970) ص 243 - 252 .  
تحليل بقية الاعمال فى ابلا I40 (I977) ص 305 و I42 (I978) ص 324 .

التشجيعية لسنة 1965 . ومع ذلك فهي تدخل فى اطار القصص القصيرة والرواية باعتبارها مسرحية مكتوبة ومؤلفة بالعربية الفصحى وهو شئ نادر فى تونس اليوم . عنوان هذه المسرحية « كيف لا أحب النهار ؟ » (6) .

تقع أحداث المسرحية ايام الكفاح الوطنى فى السنوات الاخيرة من عهد الحماية . وتتناول موضوعين . الاول فارق الاختيار بين جيلين ؛ ففى حين يتعامل القدامى طوعا مع سلط الاحتلال الفرنسى يجد الشباب فى ذلك اهانة لهم وللشعب . هذان التصوران للكرامة يتجليان داخل عائلة اعيان يوقف أحد افرادها من أجل اعمال تخريبية .

اما الموضوع الثانى فيتعلق بالطريقة الواجب على الوطنيين اتباعها لبلوغ هدفهم على المدى الطويل . فعملية الايقاف التى تحدثنا عنها هى فى الواقع جزء من خطة متعددة النقاط . من ناحية يستطيع السجن المكون تكويننا جيدا توعيه رفقاؤه . ومن ناحية اخرى يستطيع القادة المطلقاء انتهاز توزيع السميد المجانى لحمل الجمهور على التظاهر امام السجن . أخيرا ضبط مجموعة من المناضلين على متن القطار بوثائق سرية مدسوسة فى سلال الخضر . هل تعرف هذه الانشطة توقفا بسبب ايقاف أحد زعمائها ؟

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

مضمون هذا النص وأسلوبه يحملان طابع طريقة بداية الكاتب فى « يوم من أيام زمرا » وهذا طبيعى نظرا لتاريخ تأليف الكتابين . اعمال الكاتب الاخرى التى كتبت فيما بعد ولكنها نشرت قبل ان تسجل تقدما واضحا كما تدل التحاليل المشار اليها اعلاه .



نجد نفس الجو فى جزء كبير من رواية محبى الدين بن خليفة (7) الضخمة اشباح السوق (8) التى تعتبر كتابه الرابع . تجرى الاحداث بين 1949 و 1969

(6) كيف لا أحب النهار . الدار العربية للكتاب . 1978 . 79 صفحة .

(7) التعريف بالكاتب وترجمة جزئية فى ابلا 130 (1972) ص 345 - 352 . تحليل أعماله التابعة فى ابلا 140 (1977) ص 304 - 305 وص 306 - 307

(8) اشباح السوق - سوسة - معارف - 1979 420 و 304 صفحات .

فى الجهة العتيقة من مدينة سوسة وتتعاقب متشابهة على امتداد مائة وعشرين فصلا . يبدأ الكاتب بتصوير اعمال وأيام بعض الشخصوس : الخياط والحلاق والمؤدب والامام والقهواجى ... تواتر الفصول يدير حياة هؤلاء الافراد ولا تقطع رتابة وجودهم الا قلة من الاحداث المعينة الخارجة عن المجموعة . فتمضى السنة الاولى فى 132 صفحة وتليها الثانية فى 24 صفحة فالثالثة فى 26 صفحة ... الخ . عادات وتقاليده فلم نعرف من اى شىء تقريبا . اختلاف وحيد : وصول الكاهية الجديد ليراقب عن كئيب مدخنى الحشيش ولاعبى الورق وشاربى الخمر الذين ينتهى بهم شجارهم المأثور الى السجن فيستوجب دفع ضمان لاطلاق سراحهم .

والقضايا التونسية ؟ يبدأ الكاتب بالتلميح الى ذلك خلال حوار بصفحة 243 من الجزء الاول . وهى الطريقة التى يحافظ عليها طوال الخمسمائة صفحة المتبقية ، ابطال الرواية مشاهدون وان حدث ان احتوت احدهم نار الفعل فلا نشعر اننا معنيون مباشرة وانما يبلغنا ذلك بواسطة خبر . وبالمقابل كم خطبة مسهبة لا تنتهى خصوصا فى الصفحات التى تغطى فترة ما بعد الاستقلال (الجزء الثانى ص 31) اى نعم ! ليس لهذا السوق حكاية (الجزء الثانى ص 161) اذن لم الاطالة ؟ ولم هذه الكتابة المتشابهة التى تستنفد صبر القارئ ؟

نتساءل فى النهاية ان كنا ما نزال فى حضرة ادب . الا اذا اراد الكاتب ان يقوم بدور مخبر مدون فحسب . ولكن فى هذه الحالة نود ان نراه يحترم اكثر تاريخ الاحداث، فهو يذكر ان استقلال ليبيا تم فى جفاف الصيف ( الجزء الاول ص 238 ) فى حين وقع الاعلان عنه خلال شهر ديسمبر . ثم ان نهاية الجزء الاول وبداية الجزء الثانى يتحدثان عن الصاروخ السوفياتى على القمر ، فى تسلسل احداث الكاتب تاريخيا نحن فى خريف 1955 ولكن اول مركبة فضائية اطلقت بعد هذا التاريخ بسنتين اما الصاروخ القمرى فبعد ذلك باربع سنوات وأخيرا اثر غياب العنصر النسائى شبه الكلى كثيرا على هذه الرواية يبدو فى فى الخلاصة ان مثل هذه النصوص لا تكسب القضية الوطنية شيئا قط . فالاعادات فيها كثيرة جدا على حساب الاهمية وكذلك البناء الثابت لكل فصل





## التيار الكلاسيكي الجديد

كتاب عبد القادر بلحاج نصر (9) هو مجموعة قصصية : البرد (I0). وقد رحبت به الاوساط الادبية ومنحت وزارة الشؤون الثقافية الكاتب جائزة تشجيعية . خمس قصص من عشر مؤرخة وكتبت قبل صدورها بعشر سنوات بالمقارنة مع النصوص التي عرضناها يقف الكاتب في مستوى آخر ، لا لانه خال من التفاؤل الساذج الذي نلاحظه فحسب وانما لتقص في مستوى الكتابة يذكر لحسن الحظ اننا امام خلق ادبي . لذلك فالحوار بالدارجة التونسية والنثر يقارب احيانا الشعر الحر ، والجمل القصيرة المعادة نهاياتها توافق القلق الذي تعبر عنه هذه القصص .

هل سيثار غموض العلاقة بين الكائنات ؟ لقاء وفراق ، تسكع وانتظار ، خيبة كذلك : ذاك ما يبدو نصيب الجميع (ص 27 - 35) . نجد هذه المشية في الشارع وهذا اللقاء لا عند الطلبة كما في المثال السابق وانما لدى كهول لهم التزاماتهم في الحياة : هل سيفضي ذلك الى الدعارة ؟ (ص 5 - 12) . عندما لا يكون ذلك غرض أطفال من ستة الى ستة وعشرين عاما تحت قيظ الشمس (ص 99 - 107) او العاب اولئك المطرودين من المدرسة الذين تتراوح اعمارهم من I2 عاما الى I4 عاما . (ص 38 - 49) .

في الواقع ، للشخص امكانيات تقديم عدة (ص 51 - 58) اذ تستحيل كل الحيل عند الاحساس الدائم بالجوع ، وفي حالة الانتماء الى بلد متخلف سفراؤه عديمو الجدوى (ص 83 - 98) .

وهل ان المجلس البلدي القائم اجدى لحل مشكل السكن والايجار ؟ الفقير سيموت دون تحقيق مشروعه (ص 69 - 81 وكذلك ص 59 - 68) .

شخصية هذا الكتاب الحقيقية هي المدينة الحاضرة بجلاء في سبع قصص من عشر ، لا نشك في انها تجلب معها ما قل بريقه . ومن ذلك عفونة الادب

(9) التعريف بالكاتب وتقديم كتابيه الاولين وترجمة جزئية في ابلا I26 (1970) ص 258 - 264 .

(I0) البرد . تونس . الدار العربية للكتاب . 1978 . I09 صفحات .

البرازى (\*) التى لا نكاد نتحملها (ص 51 - 58) او ادب التحلل والتعفن (ص 59) الذى لوحظ بروزه (انظر «عشرون سنة من الادب التونسى» ص 59) انها علاقة لا جدال فيها عن الانتماء الى جيل معين من الكتاب التونسيين الذين طبعوا تاريخ ادبهم بتجذر فى الحياة اليومية المعبر عنها بكيفية مبتكرة والتى تكشف عن حساسية اصيبت فى الصميم .



ان الكيفية التى يعبر بها حسن نصر (II) عن الحياة اليومية فى كتابه الثالث : «52 ليلة» (I2) هى طبعا مختلفة جدا ولكنها تعكس ادراكا شبيها بالواقع . الكتابان يحملان طابع منفى معين . فكثير من اقاصيص عبد القادر بلحاج نصر كتبت فى باريس أما حسن نصر فقد نشر مجموعته بينما كان ضمن بعثة التعاون الفنى الى موريتانيا . وان كنا نوافق على ان هذا التقارب سطحي فان هناك تقارب آخر اعمق وهو انتماء نصوص عديدة للثانى (اي حسن نصر) الى النوع الغريب الخارق (الفانتستيك) . والى ان يأتى رأى مخالف فان هذا النوع قد برز فى تونس فى حدود 1961 - 1962 . نفهم ضمنيا انه اراد ان يكون تعبيراً عن عالم ممزق ، فبناء مجموعة حسن نصر ينحو هذا الاتجاه اذ خصص لكل ليلة نص قصير يتراوح طوله بين 22 سطرا واربع صفحات تصويرا - لا شك - لعالم تشظى .

اما النوع الخيالى الغريب فيطفو منتظما وكذلك متقطعا بكيفية تجعل القارئ ينظر الى الواقع نظرة خاصة . فالطفل المتشيطان يقتل فى النهاية جده بايقاعه من كرسية (ص 6 - 8) وعندما ينتهى الطاحن من عصر شحنة زيتون يرمى بحريفة فيها ويستخرج زيتا رفيعا صافيا (ص 9 - II) . وبعد ان ينظف «الطياب» زبونه يعتصره ويجففه فى السطح (ص I2 - I3) . ويحطم المرأة اذ يقص لحيته (ص I9 - 20) وتحمل الزوجة بعلمها اثاث البيت المنتقل منه بشكل

(\*) الادب المتعلق بالبراز والغائط وبالموضوعات التى تتناول الدعارة اجمالا - المترجم .

(II) التعريف بالكاتب وترجمة جزئية لقصة فى ابلا I23 (1969) ص I35 - I38 . تحليل روايته فى ابلا I42 (1978) ص 325 .  
(I2) 52 ليلة ، تونس ، الجديد . 1979 . II4 صفحة .

يواريه تماما تحت ثقل الحمل (ص 25 - 29) . عصفور هرم يغازل عصفورة ميتة (ص 39 - 40) . يستجوب المتشرد الرئيس المدير العام الذي يتحول الى كيس سميد امام رغيف نىء . (ص 64 - 66) يتحول الاحدب المتسكع الى طبل لكثرة تعلقه برواية الحكايات (ص 68) . يغادر الزوجان قاعة المرايا المحرفة بلا وجه ويرتميان فى البحيرة (ص 72 - 73) . الاخطبوط الضخم يغطى القرية ويحطمها (ص 89 - 90) . تشتري الفتاة من سوق الملابس القديمة فستانا يلتهمها باكملها (ص 97 - 98) .

هذا النوع الادبى المحدد يكشف حقيقة هزلية مأساوية مثل هذا الشخص الذى حرق حذاءه على قارعة الطريق ، لا يمنع ذلك اى نص قانونى (ص 83 - 84) . او هذا الذى اوقفه رجال الشرطة لانه ضحك فى وجه الشمس : سيفرج عنه بدون اى تفسير . (ص I03 - I04) . هناك عدم تلاؤم فى العلاقات بين الكائنات او فى علاقاتهم مع محيطهم : الاستاذ الذى يفقد صوته (ص 30 - 31) ، الزوج الذى يستعيد الالهام بعد ذهاب زوجته (ص 33 - 34) ، المسافر الذى لا يستطيع ان يرعى طفلا يودع لديه فى المطار (ص 37 - 38) ، والماء الذى يجرف البنية بعد أحد عشر عاما من الجفاف (ص 41 - 42) والمريض الذى يموت بباب عيادة الطبيب (ص 43) ... الخ .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

لقد اختار حسن نصر فى هذا الكتاب نوعا صعبا : النص الوجيز جدا . ولئن نجح فى عدد لا بأس به فان بعض المحاولات لم تكن موفقة لاقتصارها على الوصف المجرد (مثلا ص 4 - 5) فالتلميح الى حرب فلسطين ناشز قليلا أحيانا فى مجموع العمل (ص I4 - I8 و 2I) . واخيرا لماذا وقعت ترجمة احدى حكايات لافونتان ( الكتاب الثالث ، الحكاية الاولى : الطاحن وابنه والحمار ) بلا قيد ولا شرط دون ذكر ذلك (ص I50 - I07) ؟



يحتوى الكتابان اللذان تناولناهما على جوانب شبه عديدة والحق بهما آخر رغم اختلافه عنهما الا انه يستجيب للمقاييس المحددة للكلاسيكية الجديدة (عشرون سنة من الادب التونسى ص 23) وهى رواية «على مرقص الاشباح» (I3)

(I3) على مرقص الاشباح . تونس . الشركة التونسية للنشر . I978 ، I67 ، صفحة .



لمحمد العابد مزالي المولود في المنستير سنة 1906 وهو مبرز من الجامعة .  
 ساهم في مجلة «افريقيا الادبية» منذ تأسيسها بتونس في اكتوبر 1940 من  
 طرف جورج البير استر . عمل استاذ بالمعهد الصادقي ومعهد كارنو والمدرسة  
 العليا للغة العربية ، نشر سنة 1941 محاضرتين القيتا على منبر مركز الدراسات  
 الفرنسية والتونسية بعنوان «الفكر العرفي في مفترق الطرق» كما القى كلمة  
 في افتتاح الاسبوع البيداغوجي المخصص لدراسة الوسط التونسي يوم  
 19 افريل 1949 بوصفه مديرا مساعدا للمعارف العمومية (المطبعة الرسمية  
 ص 42 - 43) . وبعد الاستقلال عين متفقدًا عاما ، وكاتبا عاما للتربية القومية  
 ثم سفيرا بمديريه سنة 1959 . ثم قام بمهمة لليونسكو في الزاير والعربية  
 السعودية . وانسحب الى سويسرا سنة 1964 ، حقق «كتاب العلم» المحارث بن  
 أسد المحاسبي ، القاضي الشافعي المتوفى في بغداد سنة 851 م ( تونس .  
 الدار التونسية للنشر . 1975 . 164 صفحة ) .

تتميز هذه الرواية بعدة كفاءات ، اولا بصفاء اللغة والاسلوب ، فلم نعد  
 نرى هذه السلاسة في التعبير حيث ينساب النص من منبعه في تواتر ثنائي  
 وثلاثي يذكرنا بكتابة طه حسين الشعرية . يجب ان نقول : ان هذا العمل  
 ممتع القراءة ، فالنص ينضج بالانزان فلا بحث عن الكلام الحوشي النادر او  
 التركيب المعقد . النقطة الثانية اللافتة للنظر هي التقنية الروائية . فمنهج  
 الكتاب واضح ونشعر ان المؤلف متمرس بهذا الفن . يظهر بناء الرواية كما  
 يلي : ذكر البيئة من خلال شخصية ثانوية ، الطفل ؛ ثم تقديم اربع شخصيات  
 رئيسية كما تراها شخصية ثانوية اخرى : الحريف التونسي . وفي نهاية ما  
 يمكن ان نسميه مقدمة طويلة يحدد المؤلف كل شخصية من شخصياته  
 الرئيسية الاربعة ، الوحيدة التي ذكرت اسمائها في الكتاب هذه العودات الاربعة  
 الى الماضي تتخللها تلميحات الى شخصية ثانوية ثالثة : الحسناء الافريقية .  
 وفي الختام يجيئنا الفصل الاخير بنهاية عنيفة وغير متوقعة . بهذه التقنية  
 المتدرجة تشد الرواية القارئ حتى النهاية كطريقة الرواية البوليسية تقريبا .  
 والخاصية الثالثة لـ «على مرقص الاشباح» هي جدة البيئة والرؤية . فالقصة  
 تدور في الكنفو بنزل يوم أحد . ويمكن ان تلخص احداثها في سطر : شارل  
 الواقع في حب جيلبرت يغار من جلين ويقتله . وقد وقع بكيفية ما احترام  
 الوحدات الثلاث : الزمان ، يوم ، المكان ، العمل ، الاغتيال . ولكن هذا

الاطار الذى يبدو متصلا وقع استعماله بكثير من المرونة بفضل دور الشخصيات الثانوية الثلاث والعودات الاربع الى الماضى ، والقارىء العربى لا يتغرب كثيرا باعتبار ان هناك ملاحظا مألوفاً لديه : الحريف التونسى الذى يطلب صحن كسكسى ويرصع القصة بذكريات شخصية عن مسقط رأسه ، وتتم الشخصيتان الثانويتان الاخريان ، الطفل المسكين والحسناء الافريقية ، تكوين بيئة الرواية واضفاء اللمسة الواقعية .

اما الشخصيات الرئيسية الاربع فتمكن القارىء من معرفة جزء من الزمن يوافق الفترة الممتدة من الحرب العالمية الثانية الى نهاية الاستعمار المباشر . دانيال يعيش فى الكنفو منذ عشرين سنة . ورغم انه عرف الاضطراب فانه استقر به نهائيا . جلين قابض ضرائب فى مقاطعة اللوار . ابتز من خزائن الدولة ليوسع عشيقته الاسبانية هدايا . ونظرا لخدماته الامينة السابقة فيجب عليه فقط ان يسدد دينه ويهاجر . ضاق بالحياة فى الكنفو ولكن له على الاقل صحبة جيلبرت المعلمة التى لم يعد زوجها من المتقى مما حدا بها الى طلب نقلتها الى المغرب . ثم تم تعيينها فى الكنفو ، شارل المتواجد منذ سنتين على عين المكان يفضل سرد حكاياته عن حرب الهند الصينية بطيبة خاطر أكثر مما يفعله عن حرب الجزائر . ولان جيلبرت طردته قتل جلين الذى هب لنجدة صديقه .

وفى نهاية الحديث عن رواية محمد العابد مزالى أقول - رغم ان هذا الحكم يمكن ان يبدو نتيجة تصور انطباعى لعملية النقد - إن هذا الكتاب أعجبني كثيرا .



### الرواية الواقعية

فى هذا الصنف أضع خمسة كتب تتوزع الى اتجاه سيكولوجى ( روايتان ومجموعة قصصية) واجتماعى (رواية ومجموعة قصصية) .

بعد عشر سنوات من روايته الاولى ينشر عبد المجيد عطية (I4) «خطك ردى» (I5) والعنوان لا يخلو من لبس ، اذ يمكن ان يفهم كذلك «كتابتك سيئة» . فلا يتحدد معنى العنوان الا بالاطلاع على فحوى الكتاب . يبنى الكاتب قصته على الاهمية الجديدة التي صارت للهاتف في الادارات والبيوت . هل هو مجدد وسيلة اتصال او اداة تطفل ؟ فى هذه الحالة يهتم فوزى وهو الشخصية الرئيسية بعاملة المقسم التلغونى التي اعجبه صوتها وتعلم العاملة انه مخادع يتخلى عن عشيقاته اذا حملن . فتزعم الاخذ بثأرهن فتذكره بوحيدة ، الاخيرة ، التي قررت الاحتفاظ بطفلها .

الى جانب هذا الموضوع الرئيسى يضاف آخر وهو علاقة فوزى بمدير ادارته الذى بدأ يشعر باخلال فوزى بعمله نتيجة مسألة الهاتف وهو المعروف بدقته وجديته . وعلى عكس عادته اخذ ينتفض (ص 52) وعند تجدد اللوم اجاب بالتهديد (ص I29) فتضامن معه الموظفون وتقررت مقابلة مع الهيئة المديرية كان فوزى اثناءها المدافع عن مصالح الموظفين .

ولكن ارضية المشكل الاساسى تبقى مرتجة فلن نعلم ما تقوم به هذه الادارة ولا مسؤولية فوزى الحقيقية ، وتنطبق هذه الملاحظة على نسبة كبيرة من النصوص التونسية فالشخص «موظفون» وكفى . وكل توضيح عن نوع العمل تبدو عديمة الجدوى .

الرواية حسنة البناء . مدة سير الأحداث خمسة ايام عمل فعلى من اسبوع عادى . يتجلى تجذر الشخص فى الواقع الملموس فى المشاكل المطروحة خلال النص : دور البواب المستعلى ، الحرية فى الزواج ، المعتقدات الباطلة المتعددة ، المساراة بين الجنسين ، الاحتفال بأعياد الميلاد ... هذه التلميحات تأتى طبعاً فى الحديث . الاسلوب بسيط يوافق فن الرواية ذاته .



(I4) التعريف بالكاتب وترجمة جزئية لروايته الاولى فى ابلا I2I (I968)

ص 45 - 49 والى جانب روايته نشر الكاتب 5 قصص للأطفال .

(I5) خطك ردى . تونس . الجديد . I978 . I54 صفحة . عرض لابريس

6 ماي I978 ، والاذاعة I نوفمبر I979 .



فى نفس الخط السيكولوجى تتحدد رواية محمد الحبيب براهيم : انا وهى والارض (I6) . ولد الكاتب بمساكن فى 25 اكتوبر 1946 . حصل على الاجازة فى اللغة العربية سنة 1967 . وهو مدير معهد منذ 1975 . تقتصر عقدة الكتاب على قطيعة : كيف ينفصل حمدى الاستاذ بالقيروان عن خطيبته رفيعة الطالبة بالجامعة التونسية . سرد هذا القرار يمتد على سنة مدرسية كاملة زمن الفيضانات الكبرى . لحمدى زميلان . ويشكل تطور علاقات كل واحد من هؤلاء الاساتذة الثلاثة مع امرأة واثنين كل موضوع الرواية .

حمدى مشطور فى الواقع بين خطيبته التى توقف موقفها الثائر عند باب الكلية وبين نبيهة زميلته التى تشاركه اجتماعات نادى الخميس والتى يرسل اليها نصوصا نموذجية تراها هى مجرد تمارين ، فى حين ينظر اليها هو على انها بوح حقيقى . وهو مثالى يرفض الارض من اجل المثل الاعلى . وتذكر نبيهة انه يريد زوجة للجسم وزوجة للذهن ويتساءل كيف يمكن ان يكون تقليديا وثوريا فى نفس الوقت ؟

اما عبد الكريم الذى درس فى مصر فثقافته عربية وهو يجد صعوبة فى العثور على زوجة من الوسط الذى يختلط به . ويتصارع فى داخله مفهومان للزواج : هل يكون بدافع ابرام عقد تحارى بين الطرفين ؟ او مستندا الى وحدة شعور ؟ وبما ان عبد الكريم يبحث عن الاستقرار اتصل بنبيهة ، الزميلة المشار اليها اعلاه . ليطلب يدها . ونفهم من النص ان هذا المسعى ككل بالنجاح .

واخيرا وحيد اكثر الاصدقاء الثلاثة ثورة . فهو مراقب من اجل نشاطاته السياسية السرية . ويجد صعوبة فى التعود على الوسط الذى يعمل به فهو يعتبره شديد التبعية . يعيش مع كاترين الفرنسية ولكل علاقتهما . حسب وصف اجوارهما - جد صاخبة ، واثناء افتراقاتهما الحامية الوطيس يلجأ كل من هذا الثنائى الحر الى المغامرة ، يؤلف وحيد نصا عن الانسان المنفرد وعظمته فهى القطيعة كذلك . وفى النهاية تود كاترين بناء اسرة ولكن وحيد يعتزم السفر الى الخارج .

(I6) انا وهى والارض ، سوسة ، دار الكتاب . 1978 . I62 صفحة ، عرض جلول عزونة فى قصص 43 (جانفى 1979) ص 54 - 55 .

يلتقى الاصدقاء الثلاثة عند احدهم او في المقهى وهى فرصة للحديث عن مواضيع مختلفة : نهضة الحضارة العربية ، الاصاله ، الاشتراكية والتعاقد ، مكانة المرأة فى المجتمع ، التخلف ... الخ . وينتهى الكتاب بتسكع الشخصية الرئيسية فى شارع طويل له بعد رمزى دون شك .



وتتناول كذلك بكثافة المشاكل السيكولوجية حياة بن الشيخ . تضم مجموعتها « بلا رجل » (I7) سنا وعشرين قصة مكتوبة بداية من 1966 . ولكن الاثنى عشر عاما التى تسم تأليف الكتاب لا تثبت امام التكرار العجيب للموضوع المطروح : سفارة فى الفم (8 مصادفات) كاس من الخمر فى اليد (6 مرات) ، ابكى (21 مرة) وأنا استرجع ذكرى (7 مرات) قبلات على شفتي (9 مرات) من الرجل الحقيق (6 مرات) الذى اريده (6 مرات) . هذه الطريقة المعذبة للتعبير عن نفسية المرأة نجدها من البداية الى النهاية . فهل يعطينا النص الدوافع ؟

حسب الكتاب ، عوامل عدة يمكن ان تؤدى بالمرأة الى مثل هذا الموقف . امرأة مطلقة يسجن زوجها (ص 18) . الرجل الذى تحبه يحاول أن يستدرجها الى مسكنه ليهتك عرضها (ص 23) الرجل يهجرها (ص 57) يموت فى الحرب (ص 85) . هى ليست متزوجة وبلا عمل (ص 137) . العشيق غريب (ص 140) الزوج الشاب يلقي حتفه فى حادث مرور (ص 155) ... الخ . ولكن الاسباب المرتبطة بمجتمع معين ليست دائما مذكورة . تشكو المرأة من الالفهم (ص 34) او من الحياة اللامعقولة (ص 42) بدون سبب واضح .

يبدو ، حسب النص دائما ، ان سلوك المرأة فى جملة الاقاصيص مميز بالانانية (ص 203 : « فأنا أحب ذاتى فوق كل شئ ») والكبرياء (ص 74 : أنا أقوى من اى رجل) ، وهذا يفسر رد فعلها المحسوس : « الرجل كالسفارة ، لا يجب التعلق به أبدا . هل يتعلق الانسان العاقل بسفارة اننا ندخلها ،

(I7) بلا رجل . تونس . ابن عبد الله 1979 . 210 صفحات عرض لوطنون I أبريل 1979 ، دياالوق 263 (I7 - 9 - 1979) ص 82 ل احمد الطويل . لا بريس 26 - 10 - 79 . الاذاعة 460 (I6 - 2 - 80) ص 40 - 41 .

نستمتع بنكهتها لحظات ثم نلقيها ارضا ، (ص 97) . في هذه الحالة لا نرى كيف سينشأ اتصال حقيقي : « لكننا عبثا حاولنا ان نعى ما يقولون » (ص 110) لم ينفذ الشخصية التاكيد انها «واقعية» (ص 74) فنحن لم نتمكن من رؤيتها حسيا ، في الصفحة الموالية : « مياه النيل اطهر ما تملكه العروبة » (ص 75) فلا بد ان يكون للرمزية اساس في الواقع ! ومن جهة اخرى لا تتجنب الكاتبة بعض الكليشيات فباريس «أجمل مدن العالم» اختصرت في الشانزليزي ومونمارتر (ص 138 - 149) اما لندن فهي « بلد الارستقراطية والبرجوازية الراقية » (ص 165) .

كاننا نشعر في النهاية ان كل هذا يتم في رأس الشخصية المؤنثة . فلا أدل من تعداد الصور المستعملة : عنكبوت ( ص 44 ، 46 ، 47 ، 50 ، 51 ) ذئب ( I6 ، 29 ، 31 ، 32 ، 33 ، 50 ، 51 ، 66 ، 84 ، I03 ، I04 ، I10 ، I34 ، I35 ، I88 ، I93 ، I94 ) ثعبان ( I1 ، 47 ، 93 ، 94 ، 95 ، 96 ، I02 ، I26 ، I27 ، I28 ، I30 ) كلب ( I2 ، I3 ، I4 ، I8 ، 25 ، 40 ، 46 ، 47 ، 50 ، 84 ) أخطبوط ( 7 ، 88 ، I04 ) سلحفاة ( 7 ، 54 ) تمساح ( 43 ، I12 ، I13 ، I14 ) خنزير ( I26 ، I27 ) فأر ( 84 ، I16 ) أفعى ( I3 ، 71 ، I12 ، I14 ، I26 ) خنزير ( I32 ، I33 ، I34 ، I35 ، I36 ) تنين ( I04 ، I26 ) ديدان ( I25 ، I26 ، I44 ) حشرات ( 8 ، I0 ، I9 ) ذباب ( 35 ، I31 ) ضفدعة ( I05 ، I26 ) حية ( I3 ، 54 ) غربان ( I3 ، I03 ، I04 ، I06 ، I22 ) حمار ( 31 ، I04 ، I08 ) خفاش ( 31 ) ، يوم ( I04 ) حرباء ( 54 ) . هذه شبكة جد معبرة . المرأة يائسة (ص 114) : « أبحث عن ذاتي ، أهيمن دون ان اجد الطريق » «ص 29» «عبثا ابحث عن معنى للوجود» (ص 42) ، «لماذا أعيش ؟ » . ولكن هذا اليأس والاحلام التي تعيش فيها المرأة تبدو عقيمة : « أموت ببطء بدون ان افعل شيئا » (ص 57 - 65) .

هل الشخصيات سجيئة ماضيها ؟ « كانت الدنيا كلها أغنية حلوة نتناجي بها على فيتارة الحب والشباب » (ص 121) . وهكذا فالثورة المعبر عنها في كتاب حياة بن الشيخ تبدو لي مطابقة لما أسميته التيار النسوي ( انظر « عشرون سنة من الادب التونسي » ص 104 - 110 ) . لا شك ان لها اساسا في الواقع ، ولكن هذا الاخير صعب كشفه في حالة التعبير عنه بصورة رمزية اقصوصة واحدة (ص 131 - 137) تبالى بالبيئة الاجتماعية بجلاء ، والحلقة



المصرية لا تشذ عن المجموعة ( ص 66 ، 100 ) الوهم الزائف هو الذى أعيش من أجله ، (ص 90) . لنتنظر باب العمل الايجابى .



اثر هذه الكتب الثلاثة التى تتناول قضايا سيكولوجية اصل الى عمليتين آخرين لهما نزعة اجتماعية بحثة . الاول رواية لعمر بن سالم المولود فى 6 اوت 1932 بالمطوية ، نال التحصيل العصرى الزيتونى سنة 1957 وبعد سنة بقسم الصحافة بجامعة القاهرة انتقل الى بيروت حيث حصل على الاجازة فى اللغة العربية سنة 1960 . درس طيلة 5 سنوات بالمعهد الثانوى بالكاف ثم تحول الى فرنسا حيث ناقش سنة 1968 دكتوراه الدرجة الثالثة حول ابن دريد . ولما عاد الى تونس بمدرسة ترشيح الاساتذة المساعدين . يعمل منذ سنة 1972 بالقسم الادبى بمركز الدراسات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية ) . نشر عام 1978 فى دمشق مسرحية «يوم اللات» .

كتاب «واحة بلا ظل» (18) انتظر عشر سنوات قبل ان ينشر. خسارة ! لان رواية التعاضد هذه كان أجدر بها ان تعرف فى حينها اى قبل التخلي عن التجربة . ليس - ربما - من أجل ميزات الادبية وانما لكونها صدى لمرحلة هامة من حياة البلاد . لم تظهر فى السوق الا سنة 1978 وتعقب فى هذا السياق فحسب ، صفحات عبد الرحمان عمار فى «عواصف الخريف» (ص 10 - 19 و 34 - 41 ) ، ومحسن بن ضياف فى «يوم من العمر» (ص 101 - 107) وحسن نصر فى «دهاليز الليل» (ص 46 - 47 و 116 - 117) .

ملحمة التعاضديات هذه مقترنة بقصة حب حيث ان المسؤول عن تكوين التعاضدية فى الواحة خطيب ابنة المتصدى الرئيسى للمشروع . الكتاب مقسم الى فصول قصيرة تنتقل بنا من وصول صالح الى القرية بعد ان اتم

(18) واحة بلا ظل . تونس . صفاء 1979 . 199 صفحة . عرض لا بريس 14 - 10 - 1979 ؛ قصص 47 (جانفى 1980) ص 19 - 22 لمصطفى المداينى . نلاحظ ان هذا النقد يرى (ص 21) رمزية فى التعيين بغار الدماء فى حين ان المقصود غار الملح .

دراسته الفلاحية حتى ذهابه فى تعيين آخر . اجمالا تمر سنة بين الحركتين مما يمثل وحدة للعمل . السؤال الجوهرى المطروح هو معرفة سبب اخفاق مشروع التعااضدية . يقدم الكاتب العناصر الاساسية للاجابة عن هذا السؤال بجعل القارىء يجتاز مراحل التنفيذ المختلفة .

فى نقطة البداية ، جهة ميتة ، هجرها رجالها الى اماكن اخرى هربا من الفقر وبحثا عن العمل والمال (ص 21) . يجب تحقيق معجزة للخروج من التخلف (ص 36) . لا يوجد معهد فى القرية ولا مصنع فى الجهة (ص 55) . السانية مهمة . خدمة الواحة تحتاج الى عقلية جديدة (ص 64) . عندما تصل الملاكين اشاعات حول انشاء تعااضدية يبادرون بقتل النخيل لجنى اللاقى (ص 65) . قدمت الاعتراضات الاولى : العمل الجماعى يدعو الى التخلي عن المسؤولية : كيف نشرك عمالا وكسالى ؟ المثقفون يرغبون فى التعااضدية لانتهازيتهم (ص 73) ؛ الغاء الحدود بين الاملاك لا يمكن ان يقبله الملاكون (ص 85) .

ازاء هذا الوضع ثلاثة ردود فعل : الفقراء سيفرحون بايجاد شغل ، بعض الاغنياء الدستوريين سيعتبرون المشاركة واجبة وسيعارض الآخرون بكل الوسائل (ص 109) فيتمحور كون خفية لاجباط المشروع فيشتري رئيسا البلدية والشعبة الدستورية اصوات المعارضين (ص 132) وينظمون مظاهرة احتجاج يوم التندشين . وينتج عن ذلك عدة اعتقالات . فيتدخل وفد من الاعيان لدى الوالى لاطلاق سراح المتهمين (ص 155) ويستمر التقويض (ص 165) حتى بعد بدء الاشغال . وينفذ المال اثر شهرين . وترفض الادارة دفع الاعتمادات المرصودة بحجة تجميد ميزانية حضائر الشغل (ص 171) . وفى تونس يظل المشروع على الورق (ص 172) . يدعو المسؤول المتعاضدين الى التطوع باسبوع عمل مجانا فى انتظار ما ستسفر عنه مساعيه . مرة اخرى يعترض رئيس البلدية ورئيس الشعبة تحقيق هذه المحاولة الاخيرة (ص 178) . وفى النهاية يرجى قرار وزارى هذه التعااضدية المثالية الى المخطط القادم .

وعلى هامش هذا النشاط الظاهر يصور الكتاب كذلك ضمينا كل حياة النساء اللاتى يعشن فى خشية من الطلاق (ص 18) ويضطرن الى الوفاء اضطارا (ص 48) ويدافعن عن العين التى يجلبن منها الماء (ص 29) ويقابلن باستسلام

القرارات التي يتخذها الرسميون ، ويحرقن البخور دليلا على فرجهن (ص 105) ويعتقدن في الاولياء والصالحين (ص 137) .

واختتم بملاحظة حول تقسيم الرواية . اختار الكاتب عددا من الفصول الصغيرة ليحسس القارئ بالحركة الجدلية التي اثارها المشروع . الم يكن من الممكن جمعها في خمسة فصول كبيرة تحترم اكثر منطق القصة . فيكون لنا : I - العودة ، 60 صفحة ، وهو اليوم الاول . 2 - المشروع ، 34 صفحة ، اليوم الثاني . 3 - الاستفتاء ، 44 صفحة . 4 - المعارضة ، 31 صفحة . 5 - التنفيذ ، 30 صفحة . ان تقسيمها هكذا يجنبنا ملل الفصول القصيرة التي ربما ارادها الكاتب لغرض تعليمي .



الكتاب الثاني ذو النزعة الاجتماعية هو المجموعة القصصية للمختار العبيدي، المولود في 22 ديسمبر 1948 بتونس . بعد الدراسة الثانوية بمعهد ابن الشرف تحصل على الاجازة في اللغة العربية سنة 1973 وشهادة التبريز في اللغة والآداب العربية سنة 1977 . منذ 1973 درس تباعا بالمدرسة القومية للخدمة الاجتماعية وبمعهد العمران ثم بمعهد ميتوالفيل الفرنسي . جمع 18 قصة كتبت من 1969 الى 1975 تحت عنوان «الضحك بلا حد» (I9) . في تقديمه (ص 7 - 10) كتب حسن الصادق الاسود ان الفكرة الغالبة ، وهي الضياع ، متأتية خاصة من النزوح من الريف من خلال ثلاثة انواع : الهامشيون ، العمال بلا أمل والطلبة الشبان ، في اطار الاحياء الشعبية الجغرافي وهي تمثل تصوير طبقة معينة ، ويرى المقدم انها لوحات اكثر منها قصص وان الدور الرئيسي استأثر به الراوي . هذا التقديم يعطينا تقريبا من اللجوء الى تحليل الكتاب .

بالقياس الى الاعمال المقدمة اعلاه نستطيع القول ان له شبها من الناحية الخارقة مع «52 ليلة» لحسن نصر وشبها آخر من ناحية النقد الاجتماعي مع «البرد» لعبد القادر بلحاج نصر . الا انه يملك فيما يبدو لي ، تماسكا اكبر . وفي هذا تتجلى قيمته في نظري .

(I9) الضحك بلا حد . تونس . الدار العربية للكتاب 1979 . 131 صفحة .

نصوص تحويلية



القارئ يسافر في وسط اقرب الى سوق القرانة من نهج شارل دي فول .  
انه عالم من يرفضون كل تواطؤ للاضرار مع الاعراف (ص 25) وراقصات  
العلب الليلية والغانيات اللاتي فارقت نهائيا عائلاتهم (ص 33 ، 88 ، 105) او  
من يغادرون السجن (ص 31) او يحالون على المحكمة (ص 54) ولاعبى الورق  
في اماكن الميسر الشعبية (ص 73 و 98) ... الخ.

من هذا الجمع يبرز بعض الاساتذة احتفظوا من يبتهم الاصلية بقريحة  
غضة ، وهذا يمنحنا ثلاثة نصوص ممتعة : « المفعول بها » (ص 81 - 88) ،  
« نقاش ما نتيجته » (ص 120 - 121) و « لا يسمع الصم الدعاء » (ص 122 -  
124 ) .

ان محاولة محمد المختار العبيدي ملائمة وكتابه يقرأ بمتعة . ولكن كيف لا  
نفقد عملا طويلا النفس من نفس الجبل ، رواية حقيقية يكون لها صدى اكبر  
من اقصيص بضع صفحات حتى ولو جمعت في كتاب .



كنا اشرنا الى أولى قصص نافلة ذهب في «عشرون سنة من الادب التونسي»  
(ص 123 و 125) وها هي تجمع سبع عشرة منها ، منشورة من 1968 الى 1978 ،  
في كتاب موسوم «اعمدة من دخان» (20) هو في الواقع 70 صفحة من النص .  
وقد خصصت للكتاب دراسة طويلة كتبها محمد الهادي المطوي (21) هذا اهم  
ما جاء فيها . هذا العمل يعكس ترددا وشعورا حادا بالغربة موضوعه الصراع  
بين الواقع والمثالي ، بين الحقيقة والخيال . ويتجلى هذا الصراع من خلال  
قضايا سيكولوجية واجتماعية وفلسفية ودينية . فيبدي عالما ضبابيا قريبا من  
السرياليين او الادب التجريدي . انه صراع من اجل الخلق الفني ، المعرفة  
والحقيقة ، صراع ضد الزمان والفضاء ، المرض والفقر ، من اجل حرية المرأة

(20) اعمدة من دخان . صفاء . تونس 1979 . 85 صفحة . انظر احاديث في  
الصباح (ديسمبر 1968) ص 32 - 33 ، العمل ( 7 ديسمبر 1969) لابريس  
(9 جوان 1979) جونيس مقازين ، 48 (ديسمبر 1979) ص 65 - 66 تقديم  
المجموعة في ديالوق ، 252 (2 جويلية 1979) ص 70 .  
(21) محمد الهادي المطوي في قصص ، 45 (جويلية 1979) ص 27 - 53 .

ومن أجل السلام . اللغة بسيطة والجمل قصيرة والاسلوب وجيز حد الغموض  
جد موسيقى . فى كلمة ، هذه المجموعة تدل على كتابة نخبوية معبرة عن فلسفة  
فردانية .

من جهتي أضيف الى تحليل محمد الهادي المطوى الاشراق الكبير الذى  
يتصاعد من مجموع النصوص . ولكننا نكتشف كما من خلال زجاج شفاني ،  
رؤية الى العالم نشعر انها غير مكتملة فغالبا ما ننتظر ان تمضى قليلا فى  
الوصف (الوجه ص 20) فتكتفى بتلميحات ومجرد لمسات انطباعية . نبتعد هنا  
اذن عن المفهوم الواقعى للخلق الادبى . ما هو العالم الذى يستطيع الفنان  
خلقه ؟ هل نعرف لماذا نعيش ؟ الا يلزم لقاء ليكون للوجود معناه الحق (ص 22)  
ولا يكون سرايا (ص 69) ؟



المقالة النقدية المذكورة اعلاه تشير مرارا عديدة ، حول موضوع نشر نافلة  
ذهب الى تأثير محمود المسعدى (22) . هذا التأثير واضح جدا فى كتاب سالم  
بوميضة ، المولود بالوردانين سنة 1943 . تحصل على الاجازة فى اللغة العربية  
سنة 1968 . درس بمعاهد مختلفة حتى 1972 شغل مهام رئيس بلدية الوردانين  
وكاتب عام للجنة التنسيق الحزبى بسوسة ووال بمسندين ومدير للاذاعة  
والتلفزة التونسية حتى 1979 ، عنوان كتابه « حديث المسافر » (23) وهو  
مجموعة احاديث (سبعة وعشرون حديثا) يتراوح طولها من 10 الى 56 سطرا  
تريد ان تكون صدى حزيننا لرحلة مع الحياة وابرزا لانا وايقاظا للاحاساس :  
« ان الادب الحق حين يكون مأساة كيان ووعيا عميقا لابعاد الوجود لا بد ان  
يكون اكبر من مؤلفه » (ص 7) . بناء الاحاديث يكشف تركيبا ثنائيا بالاستعمال  
المتعاقب للادائين «حين» (ص 12 - 30 و 47 - 58) و «اذا» (ص 31 - 32 و 36 -

(22) تشير الى ان محمود المسعدى نشر هذه الايام مقالاته النقدية ، افتتاحياته  
فى المباحث ، ونصوصا اخرى نظرية تحت عنوان «تاصيلا لكيان» تونس  
ابن عبد الله 1979 . 199 صفحة . بالنسبة لنشر هذا الكاتب يجدر الرجوع  
الى دراسة محمود طرشونة «ادب المريد» تونس . الدار التونسية للنشر  
1978 . ص 7 - 105 .

(23) حديث المسافر . تونس . اجديد . 1978 . 93 صفحة .

37) ولفعل مضارع مع ضمير المخاطب المؤنث المفرد «تسألين» (ص 59 – 62) و «تقولين» (ص 63 – 67) أو لتأكيد مع ضمير المخاطب المذكور المفرد «أنت» و «أنا» (ص 38 – 44) وأخيرا لفعل ماض (ص 68 – 90) . وتأتي الإجابة دائما فى شكل أقوال مأثورة تنتهى بداية من ص 61 مع ضمير المتكلم المفرد (أنا) .

وهذان مقطعان متضمنان لهذه الاجوبة :

« أنا ان شئت بقايا أحلام يبيثها الموج الى الفجر دعاء جديدا للسفر ...

أنا ان شئت رذاذ مساء أمانيك يلثم سواحل العمر لذيذ حنين لربيع القمر ... (ص 61)

أنا من أبحر التاريخ فى أيامه رحلة خلق جميل ... اليها يسافر القمر سخاء حرية ومن عذابها ينطلق مجد عمرك الموصول بشقاء رحلتى . (ص 62) .  
ورجعت اليك يا بحر ...

... وتساءلت يا بحر عن الدهر كيف يبنى خلاء الكيان ... كيف يدمر دورة العمر ...

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

كيف يلهو على جبين القلوب رجع مأساة السنين ؟ ... (ص 88)

أنا يا بحر من تعلم الحزن فى معبد أيامها العالمة ... أنا من قرأ فى عواصف عمر جمالها سر الفناء فى نبوة ثورتك » (ص 90) .

ليس من السهل تحديد خط سير المتكلم فى هذا الكتاب . يلزم تقريبا ضبط جدول احصائى لاهم الموافقات . ويبدو من اول مقاربة ان بالامكان تمييز اربع مراحل لكن حدودها تبقى غامضة :

- 1 - الهجرة . العذاب . الرفض . البعث . الاسر . الرجعى . الايمان .
- 2 - الوفاء . العودة . الوجود . الليل . الحلم . الفجر الموعود . الحياة
- 3 - الغفران . الوداع . الغيب . التوبة . الاطفال . الغروب .
- 4 - الحب . البوح . الحنين . الليل . الامس . المجد . البحر



أمر لا نستطيع ان ننكره : ان خط السير محدد بعلامات نجدتها ذات مساحات منتظمة يبدو أنه يرسم منحني جيبي ، أليست تلك حركة الحياة ؟  
يمكن للدب التونسي ان يكون شاكرا لسالم بوميزة لجودة مسعاه ودقته  
أجرؤ على الامل بأن يكون لهذا الكتاب شأن .



يقع عمل مصطفى الفارسي (24) الحادي عشر «حركات» (25) في حدود الانواع التقليدية وفي ملتقى مسالك الخلق الادبي . في الواقع يجب ان نفهم العنوان بمعنييه الصرفي والموسيقى . فكل وسائل العربية - اللغوية والنحوية والخطية - استعملت للتوجه الى القارئ . في الواقع الا تكون الاحرف خصوصية طبيعية ؟ أشكال حرفية ورسوم تقف الى جانب لغة غنية تستعصي أحيانا على القارئ البليد الذهن . عدة حركات تتطابق في بناء النص : اوقات سمفونية ، تحليلات معجمية ، تجنيس ذو وجوه ... انطلاقا من الكامتين «دموع» و «الم» ولكن أيضا الف لام ميم القرآنية وانطلاقا من متحف خيالي ميني على مبدأ مدلول الحركات (الفتح ، الضم ، الكسر) ننتهي الى طور السكون . انها طريقة جد بارعة في التعبير «من خلال» الكلمات ، وتحويل

(24) التعريف بالكاتب وترجمات جزئية في ابلا I04 (I963) ص 337 - 349 و I09 (I965) ص 61 - 70 . أحاديث في العمل 23 أوت I971 ، قصص I9 (أفريل I971) ص 63 - 70 ؛ لاكسيون ، 26 أوت I972 ؛ بلادي ، I31 (2 - 9 جانفي I977) ، ديالوق I96 (3 جوان I978) ؛ تحليل «الطوفان» في «ثقافة» 2 (شتاء I970) ص 49 - 50 لجان فونتان ؛ و «رستم بن زال» في الفكر (جويلية I972) ص 89 - 91 لجعفر ماجد ؛ و «سرقى القمر» لعبد الوهاب الزوارى في منشورات معهد علوم التربية ، I972 ، 85 صفحة ؛ و «السنابل» في «لوطون» 5 جانفي I979 ؛ لا بريس 28 مارس I979 ، ديالوق 254 (I6 جويلية I979) ؛ و «القنطرة هي الحياة» في قصص ، 45 (أفريل I979) ص 56 - 59 لعل العربي وفي لا بريس 2 جوان I979 .

(25) حركات . الدار التونسية للنشر . I978 . I27 صفحة .

المضادات ، وانتاج نص أدبي يضع في الحسبان مآل حرية التعبير : « ان الشعوب اذا كثرت قوانينها ضعف ايمانها بالحق بالعدل بالحرية ، (ص 21) .

الشخصية البارزة في الكتاب ، فحطور وليد النزوح من الريف ، يعيش في ضواحي المدينة ، ليس له من صديق سوى شاعر هو صوته ، ولكن الحبة بالنسبة للمهاجر مرة والزمن غادر . الذكريات وحدها مجيدة . الشاعر صوت الشعب الاخرس يقرأ مهزلة في قالب حوار : هوشى الاخرس يحاكم لترويجه حكما جرت مجرى الامثال ضد النظام . هل نستطيع بقتله خنق الثورة في المهدي ؟

ولكن الموت لا يجمد أصوات الخطباء . هذا الكلام الجميل لا يملأ بطن فحطور . الجوع كافر وهل يمكن للجائع ان ينشط وماذا نقول في مشاركته في العيد ! عندها ينشأ وعي بأن الفرد وحده لا يستطيع ان يبلغ انسانيته كاملة . الا ينبغي ان يكون الفرد قربانا للجماعة ؟ ولكن الملك تقدم في السن ، فبدأ الشعب يتذمر : « الثورة على الظلم حق » (ص 110) فيزجر اثر الجفاف ، وحتى المومسات يضربن . لم يعد هناك مكان للشاعر المحب للعدل ، فهل نسير نحو تعيين اول ملك جمهوري ؟ <http://Archivebeta.Sakr.org>

هذا العرض القصير لا يفنى بمآثر مصطفى الفارسي الفنية فقد استطاع تكييف لغته وأسلوبه مع مختلف مراحل مساعاه . فهو يسيطر على فنه بنجاح .



في نهاية هذه الدراسة اذكر أولا انها شاملة بالنسبة الى المجموعات القصصية والروايات المنشورة في تونس خلال سنتي 1978 - 1979 اي 15 كتابا من بينها 7 بواكير مؤلفيها .

واعترف مرة أخرى اني امتنعت عن الانتاج المنشور في الصحف والنشريات على سبيل المقارنة الكمية اذكر ارقام الاقاصيص المنشورة بمجلتين من اغزر المجلات في هذا الميدان :

1979	1978	
34	35	قصص
23	22	الفكر

فاذا أضفنا «الاذاعة» و «الحياة الثقافية»، والصحف اقتربنا من رقم 150 أقصوصة أثبت بعضها نوعا من الجودة .

ثانيا ، اكرر أن التصنيف المقترح هنا لا يشفى الناقد الحريص على وضع حكم حسب مقاييس موضوعية . نستطيع هكذا ، ان نبدي اول اعتراض : هل يختلف كتابا عبد القادر بلعاج نصر ومحمد المختار العبيدي بدرجة تبرر تصنيف الاول فى التيار الكلاسيكى الجديد ووصف الثانى بالواقعية ؟ اعتراض آخر يمكن ان يبدي بشأن النقاط المشتركة الموجودة فى الكتب الثلاثة التى حللتها تحت عنوان «نصوص تحويلية» .

أنا واع بهذه الصعوبات ، وتجشأ مخاطر تحملها باعتبار اننى أقترح هنا شبكة للادب التونسى المعاصر .

نقطة أخيرة . من مجموع هذه النتاجات أفرز أربعة عناوين : «على مرقص الاشباح» لمحمد العابد مزالى لجدة . «الضحك بلا حد» لمحمد المختار العبيدي لالتزامه الاجتماعى . «حديث المسافر» لسالم بوميزة لنظرتيه الماورائية . «حركات» لمصطفى الفارسى لغزارة خياله .

اعتقد ان هذه الاعمال تتميز عن الاخرى بخصائص ادبية لا تنكر . يبدو لى من الطبيعى لفت انتباه القارئ اليها .

جان فونتان

ترجمة : ابو بكر العيادى



## القفاز

بقلم : ر. و. جويس

ترجمة : عيسى فتوح

تعلق جيمس دين بروس اصابعه بحافة الشباك ، وبعد لحظة سقط بهدوء على الارض ، تلفت حوله بسرعة ... كان البيت خلف حدود المدينة ، فى منقلب الطريق ، يفصله جدار من الصخور العالية ... الساعة تقرب الثانية ، والليل مظلم ، ثمة احتمال قليل ان يقابل أى شخص فى ذلك الوقت المتأخر ، وبالأجمال فقد كان مأمونا امنا تاما ...

عندما ركض فى المرح بهدوء ، ما استطاع الا ان يتعجب من اعصابه ... لقد زاول اللصوصية فى تلك الايام البعيدة ، قبل ان تزدهر تجارته ، كبائع جواهر محترم ، فى مدينة « برامبتون » الصغيرة ، ولكن تلك الايام كانت سحيقة العهد ، يستقر خلفها عشرين سنوا من مراعاة القانون واحترامه ... ان اليد التى ارتفعت لتمسك قمة الجدار كانت ثابتة كالصخر .. ومع ذلك فقد استطاع ان يفكر بهدوء ، بذلك الشيء الذى كان اسمه مرة ريتشارد سترونغ ، والذى يرتضى الآن مكوما فى بركة قرمزية عريضة وسط الغرفة التى غادرها . لم يقصد ان يرتكب جريمة قتل ، ولكن الظروف قد اجبرته وحتمت عليه ، شعر ان كل ما فعله انما كان لعبة الظروف .. بدأت منفصاته عندما ميزه ثانية سجين قديم من معارفه ، ولاحقه يبتز أمواله بالتهديد . كانت اعمال دين ناجحة ، لكن طلبات التهديد المتزايدة ، كانت مصرفا فوق ما يتحمل .

جرب ان يزيد موارده بالمقامرة فقط ، فغاص فى الصعوبات غوصا ولا اعرق ، حتى حرق فى وجهه الحراب اخيرا . وفى نهاية بحرانه التفت الى تجارته القديمة . كان ريتشارد سترونغ محاميا متقاعدا ، له أكثر من سمعة محلية ، كجامع انتيكات ، يؤمن باقتناء الزخارف الذهبية ذات القيمة

الاسطورية ، بينما كان دين فى ذلك الوقت ، شارى ذهب ، خواتم قديمية ،  
شكلات وما شابهها ، يأتى بها ثم يذيبها معا ، وبناء على ذلك ، فان انصراف  
مسروقات منزل سترونغ يمكن ان تصرف بربح وامان . كان من السهل عليه  
ان يقتحم البيت ، خاصة وهو يعرف الغرفة التى كانت تحفظ فيها المجموعة  
الذهبية . ما كان عليه ان يفعله هو ان يتسلق قسطل البالوعة مسافة اقدام  
قليلة ، ليصل الى النافذة . لم تكن فكرة اخذ الاحتياطات ضد اللصوص  
ضرورية فى « برامبتون » ولذلك عندما حشا دين جيوبه بالزخارف الذهبية  
التي كانت تملأ الغرفة ، فقد منى بحظ قليل !

كان يستعد للانصراف عندما سمع لهشة قوية خلفه ، وما كاد يندار ، حتى  
وجد ان باب الغرفة قد فتح وسترونغ نفسه واقفا امامه - « دين » - كانت  
هى الكلمة الوحيدة التى نطق بها سترونغ كان دين قد ملح سكيناً شرقية ذات  
صناعة غريبة ، وبدون تفكير تقريبا ، طعن سترونغ بها وانتهى كل شيء .  
سحب الجثة داخل الغرفة ، اغلق الباب ، أطفأ النور ، أسدل الستائر ، وغادر  
من حيث أتى ، عن طريق النافذة .

لم يشعر بتأنيب الضمير ، قال فى نفسه : « ما استطعت ان افعل شيئا  
آخر .. لقد ميزنى ان يكون ذلك أو السجين » . استعاد نظرة الدهشة التى  
ارتسمت على وجه سترونغ ، وابتسم فعلا . لم يفكر حقيقة بأنه فعل شيئا  
يستحق عليه لوم النفس ، كان موت سترونغ ضروريا لسلامته ، لم يكن ثمة  
حل لما قد فعل ، وفى اية حال فقد كان رجلا عجوزا لا يطمح بأن يحيا غير  
سنوات قليلة .

شعر بالاطمئنان . من سيشك بأن رجلا كليلا ، ثانويا ، تاجر جواهر فى  
منتصف العمر ، يرتكب القتل واللصوصية ؟ لم يترك حلا . لم يقابل اى  
شخص ، ذاهبا كان أم آتيا . الشارع الرئيسى الصغير كان مهجورا ، وفى  
ظلمة مطبقة عندما اقتحم بيته من الباب الجانبى . كان يعيش وحيدا فى البيت ،  
تأتيه امرأة يوميا ، وتشغل له أشغال البيت ، ولكن لا أحد سواه يدخل  
الأماكن المعدة للنوم . غرفة نومه كانت فى المؤخرة ، وقبل أن يضىء المصباح  
الكهربائى ، أنزل « الاباجور » وأسدل الستائر الكثيفة على النافذة ، ثم فتش  
جيبه ، وسحب القفاز . وب نظرة تملؤها الدهشة فتش الجيب ثانية ، دون ان

يجد ما طلب . غطس يده فى جيوبه الاخرى ، باحثا فيها عن المصنوعات الذهبية التى كانت تملؤها ... وفى النهاية لم يستخرج شيئا . والسبب ما خاف ان ينظر اليها ، ولم يرد ان يفرغ جيوبه منها ، حتى يصبح جاهزا لافراغها فى بوتقة الصياغة ، فى الغرفة الصغيرة خلف الدكان السفلى . وأخيرا عاف البحث ، ووقف وسط الغرفة ، وعلى وجهه قناع أبيض من الرعب الحاصل .

فردة القفاز ضائعة ! لقد وجد القفاز فى جيبه بينما كان فى منزل سترونغ ، تناوله ووضعه على طاولة قبل أن يحشو غنائمه ، ويقسم أنه أعاده قبيل هربه العاجل . ولكن هنا كانت الحقيقة المخيفة : احدى الفردتين ضائعة ، وعلى بطانتها اسمه وعنوانه . فكرة الرجوع الى المنزل ، الى الغرفة حيث يرتعى سترونغ هادئا ساكنا ، ملأته بنوع من الرعب الحرافى . ذكرى وجه الرجل الميت المتغير ، ونظرة الدهشة الغريبة التى جمدها الموت الأبدى ، عادت اليه ، فاطلق صرخة مخنوقة تقريبا . وقف وسط الغرفة ، وجهه أبيض مبقع بنقط العرق ، وفكره مشوش لعدم الاستقرار .

تمتم : « لا أستطيع ان افعله لا أستطيع ... » .

حينذاك هجم شبح المقصلة نفسه ، فارتجف كمن أصيب بالبرداء . فى أيامه الاجرامية الاولى وكان يمتلك خوف مرضى من المقصلة . خوفه القديم أمسكه الآن بقبضته ، أقوى مئة مرة مما كان عليه فى السابق . مشى فى الشارع المهجور المظلم بخطوات بطيئة . كانت الرحلة تشبه كابوسا بالنسبة لحياهه المشوش . كل زاوية مظلمة تخفى شبحا . ومرة صرخ مبحوحا عندما سمع قطعة مهمة من ورق الصر تعترض طريقه ، وبلحظة بدت له كأنها كتيبة جيش تستقر فى بركة مظلمة .

وصل الى المكان المقصود ، يغسله عرقه ، ويرتجف كل طرف من أطرافه ، فعرج الى النافذة . كانت الغرفة مظلمة كما قد تركها . ظن أنه رأى شيئا أكثر ظلما على الارض قرب الباب ، ولذلك يجب أن يضىء المصباح ليجد فردة القفاز ، فى حين كان المفتاح قرب الجثة . جمع لمساعدته كل قواه الاحتياطية . جذب الستائر حتى غطت النافذة وتحرك داخل الغرفة . لمست قدماء شيئا ناعما فتراجع ، وتنهد تنهيدة مبحوحة . دق قلبه بهياج . وجدت أصابعه المهتزة المفتاح ، فعامت الغرفة بالنور .



لا يزال ريتشارد سترونغ ملقى عند قدميه . تمنى لو يعطى العالم درسا ، كيف يكون قادرا على أن يتجنب النظر اليه ، لكن الجثة مارست بعض سحرها المخيف عليه . جذب عينه بصورة لا تقاوم . وفوق ذلك امتلأ بالكراهية كما كان . انحنى باتجاهه ، وامتدت يده لتلمس مقبض السكين .

« ارفع يديك . يا الهى الطيب . ارفع يديك أيها الشقى » .

نظر حوله ، وصرخ صرخة حادة . صدمة أعصابه المهدمة ، جديدة سببت له انهيارا تقريبا . فتح الباب . وقف ابن سترونغ يغطيه بمسدسه ، وشهر سلاحه فوق رأسه ببطء .

★ ★ ★

كان المفتش الذى رافق دين الى دائرة البوليس ثرثارا ، وفوق ذلك بدا أنه نسى ، موقتا ، ان المتهم فى نظر القانون يظل بريئا حتى تثبت تهمته ، وفى اية حال ، فقد ادعى ان جرم دين ، بالنظر الى البيئة ، ليس مفاجئا .

قال : « هل تدري بأتك كنت آخر من أشتب به ؟ ولو لم توجد فى الغرفة مع الجثة والمسروقات فى جيبك ، لما فكرت بك مطلقا ، ولسوء حظك لم تهرب فى الوقت اللازم » .

لم يفه سترونغ بجواب ، كان بيته على طريق دائرة البوليس ، فطلب أذنا كيما يلبس معطفه ، لان الهواء كان باردا فى تلك الساعة المظلمة قبيل الفجر .

قال المفتش : « بالتاكيد ولكن يجب أن نرافقك » .

فتح الباب الجانبى ، وتقدم سجانه الى الغرفة ، يحمى مؤخرته شرطيان 7 وبينما هو يفكر ربانهم نواوا اخذه بسوء حظه ، لامست قدمه شيئا ناعما على الارض .

توقف ليلتقطه ، وفجأة شعر بالغرابة ، عندما اضاء المفتش المصباح ، نظر دين الى ما التقطه لقد كانت فردة القفاز التى ظن انه تركها فى الغرفة مع الجريمة ، والتى رجع كى يجدها ، صاح احد الشرطيين : « ارفع يديك الآن » .

لكن دين انزلق من بين يديه ، وسقط على الارض مغميا عليه .

صفية القلي  
تعريب :  
عبد الرحمان بن خليفة

## اليد

قصة بقلم : صفية القلي - أدرجت بمجلة « تبادل »  
الفرنسية - المجلد الاول - عدد 3 بتاريخ نوفمبر 1979  
تعريب : عبد الرحمان بن خليفة

يتناول الحديث وضعية الطفل في العالم وفي دنيا الجوع . وهكذا أثيرت  
ذكريات « بيافرا » ولاجنى « كامبوديا » وأطفال الهند والفلسطينيين .  
وتطرقت المناقشات نصائح الكاتب البريطاني « سوبفت » بعد قراءتها ، ذلك  
الكاتب الذى واجه التعاسة والانفجار الديموغرافى ، بارلندا فدعا الى  
« تربية » الاطفال بدل الخنازير مما يحل هاتين المشكلتين معا حسب رأيه .  
وفى الحتام تليت قصيدة لشاعر القرن التاسع عشر اللعين « ثرافى فرمدى »  
وتم التعليق عليها وهى تحت عنوان « المخزى المسكين » وبامكان القارىء أن  
يقدر لهجتها الانسانية .

أخرجها من جيبه المثقوب  
ونفخ فيها  
ثم وضعها أمام عينيه  
قائلا : « يا للتعيس ! »  
نفخ فيها  
بفمه المبلل  
كان يكاد يشعر بالفزع  
من فكرة مهولة  
قبضت على قلبه قبضا  
بللها  
بدمعة مجمدة

ذابت صدفه  
 وكانت عرفته مثقوبة  
 كأنها « بازار »  
 فركها  
 ولم يدفئها  
 كان لا يكاد يشعر بها  
 إذ إنها بمفعول قرص البرد  
 تنجذب  
 تحسس وزنها  
 كما توزن فكرة  
 بوضعها على الهواء  
 ثم قاسها  
 ومن خلال شفته المتجمدة  
 صرخت  
 في فزع شديد  
 الوداع ! قبلني !  
 قبلها  
 ثم ضمها  
 إلى رقاص جسمه  
 الذي كانت تنقصه الدقة  
 فتصدر عنه دقات خافتة ثقيلة  
 لمسها  
 بيد أقرت العزم على قتلها  
 وقال : « نعم إنها لقمة »  
 يمكن أن نتغذى بها  
 طواها  
 فكسرها  
 فوضعها  
 فقطها  
 فغسلها



## وحملها فشواها فأكلمها

عندما كان صغيرا بعد كانوا يقولون له : « اذا جعت فكل إحدى يديك » .

كان سميع في غمرة هذه الافكار الطيبة عندما تلاقى حسب العادة قرب داره مع المتسولة الصغيرة ، الضعيفة ، الشاحبة وهي تئن : « باسم الله ؟ الصدقة ! إني جائعة ! إني جائعة ؟ » وقف ونظر اليها مليا . نعم إنها تشبه هؤلاء الاطفال الذين تم الحديث عنهم اليوم ونراهم على شاشة التلفزة . وقد بلغ بها الضعف مبلغا جعلها كأنها شفافة . كان في إمكانك أن تعد على وجهها العروق الزرقاء التي تخططه . وكان هيكلها العظمى يشد جلدها ، وعيناها الكبيرتان السوداوان اللطيفتان تفضحان ما وراءهما من شهوة عارمة . ماذا عساها تشتهي ؟ إنها لا تشتهي الاكل فقط . كانت جالسة في زاوية باب وساقاها الرقيقتان منطويتان تحتها وركبتاها بارزتان كأنهما عظام سمك . كانت تعيد عليها وكأنها تهدد نفسها أو تخفف من حدة الجوع الذي يهز أحشاءها : « إني جائعة ! إني جائعة ! كانت تعيد هذه العيارة دون اقتناع إذ من سيحنو عليها ويستجيب إلى أنها بل إلى هذه النجوى اليائسة التي لا تكاد تسمعها ؟

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

اقترب سميع وأمعن فيها النظر ثانية . ثم قال لها في لطف وهو متأثر شديد التأثير بما تعلمه في القسم : « إن كنت جائعة فكلي إحدى يديك » . ثم أضاف بمزيد من التلطف والحنان والتأكيد : « كلي إحدى يديك واتركي الأخرى إلى الغد » .

بقيت المتسولة الصغيرة صامتة حيناً ثم نظرت إلى يديها وقلبتهما تقليبا واختارت اليمنى وتحسست وزنها . كانت صغيرة جدا قذرة جدا لكن الفتاة لم تكن تفكر إلا في حجمها . أما القذارة فقد تعودتها . رفعت يدها إلى أنفها فتشممت رائحة اللحم الطازج فلثمتها بشفتيها . إنها حقا قطعة لحم صغيرة رائعة . لكن هل ستكون فيها الكفاية ؟ هل ستكون فيها الكفاية ؟

أخذت تتلذذ بها لقيمات لقيمات وطال بها هذا إذ إنها كانت لا تريد أن تترك منها ولو فتاة واحدة . فضمت العظام الواحد تلو الآخر وامتصتها

الواحد تلو الآخر فشبت وانكششت على نفسها فى زاوية الباب وكانها أصبحت أصغر حجماً ثم نامت ولم تحلم كالعادة بالأكل . بل حلمت بالألعاب والضحكات . فما أقل ما يحتاجه الطفل الشقي لينقلب سعيداً .

ولأول مرة فى حياتها كانت تنام وهى تجهل قلق الجوع وحيرة التفكير فيما عساها أن تاكله غداً .

وفى الصباح أيقظها من نومها الهادئ ، .. نوم الطفولة الحق .. شعاع من الشمس .. كانت تشعر بالجوع من جديد . ولكنها بطبيعة الحال ، وحسب العادة لم تكن تشعر بأية حيرة .. وهذا أمر غريب .. فتهيأت للافطار إلا أنها عندما أرادت أن ترفع يدها الثانية الى فمها أدركت أنها اختلست منها ...

### صفية الفلي

تعريب :

عبد الرحمان بن خليفة



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

## عروس تزف إلى البحر

- خرجت فاطمة من بيتها تجرى ، وارتمت فى أحضان أمها مسرورة :
- أماه لقد سمعت أبى يتحدث عن رجل تقدم لخطبتى ، وانى أجد نفسى راغبة فى قبوله ...!
- ولما كل هذه السرعة ؟ ماذا أصابك ؟!..!
- ليس رغبة فى الزواج ولا فى الازواج يا أماه ! ولكن هروبا من هذا البيت الذى أصبحت الحياة فيه مملة لا تطاق .
- أيقظك أن تعيش معنا أختك وزوجها وأولادها لمدة وجيزة ، حتى يتم بناء مسكنهما .
- لا ليس هذا هو السبب <http://Archivebeta.Sakhr.net>
- اذن ما هو السبب ؟ أيقون زوجها قد أساء اليك فى يوم ما ؟
- لا ، ولكننى أكره أن أراه يعتدى على أختى بالعنف . عندما يأتى الى البيت وهو فى حالة سكر مطبق . انه ليؤننى جدا أن أرى شقيقتى وهى تتلوى تحت لكلماته القاسية ، ويداه الغليظان تنزلان بقوة على وجهها وكامل جسدها .
- حقا انه زواج غير ناجح ، وأختك تقاسى مرارة العيش مع هذا الرجل المدمن على الخمر منذ خمس سنوات تتحمل أذاه وظلمه ، مضحية بالسعادة من أجل أولادها الثلاثة .
- لا يا أماه هذا كلام لا يقبله العقل ، كيف تضحى بسعادتها وهى لا تزال فى عز شبابها وربيع حياتها ؟ هذا جنون . لماذا لا تطلقه وكل الضمانات الشرعية والقانونية تحميها ؟ لم لا يا أماه !!؟



– لقد تحدثت معها أكثر من مرة فى هذا الموضوع ، فأصرت بأن لا تفارقه ، خوفا على أولادها من الضياع ...

– اذن فليطرده أبى من بيتنا الشريف ، وتبقى هى وأولادها معنا حتى يمن الله بالخير .

– قلت لك : ان اختك ترفض ان يبتعد زوجها عنها وعن اولادها .

– لذلك أرغب أن أخطب وأتزوج عاجلا لكى أبتعد عن المأساة التى تعيشها يوميا انسانة بريئة لا ذنب لها فى الحياة سوى انها تطيع هذا الوحش الضارى الذى لا يخاف الله ...!

– حقا ان الشاب الذى طلب يدك مثقف ، ومهذب ، ومن عائلة متواضعة وشريفة ، وهو موظف سامى . ولكن الله أعلم بما تخفيه الصدور .! وان والدك يطلب استشارتك فى الموضوع .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

أردفت البنت بسرعة :

– أوافق .

وتمت خطوبة فاطمة من الشاب المثقف الذى لا يقل عنها جمالا ووقارا ، وفاطمة بنت جميلة جدا . وكل أهل الحى يتحدثون عن جمالها الباهر ، وكلهم يتسابقون للفوز بها . وهى مع ماتمتاز به من جمال فائق ، فتاة محترمة ، شريفة ومحافضة على أخلاقها ، وكرامتها ، وثقة والديها بها .

ثم أصبحت فاطمة ترغب فى الخروج مع خطيبها ، والتنزه معه فى أرجاء المدينة ، وفى الاماكن الهادئة ... تجلس معه فى الحديقة وعلى شاطئ البحر الصافى ، الحالم ، الجميل فهى بطبعها شاعرية ، وميالة الى الوحدة .

وصارت فاطمة تحب خطيبها حبا كبيرا ، وأصبح هو كل شىء فى حياتها .

وفى يوم من أيام الصيف الرقيق الحواشى ، قررت العائلة القيام بجولة صغيرة يقضونها فى غابة الكرنيش ، وذلك بطلب من زوج الاخت ، وبعد الحاحه الشديد ... رفضت فاطمة الاذعان له ، وأصررت على عدم مصاحبتهم ، وفضلت البقاء فى المنزل ، ففهمت الأم ما تقصده البنت ، وأشارت عليهم بأن يتركوها وينصرفوا .

وبقيت فاطمة فى البيت وحيدة ، سعيدة بأنسها وخيالها الشاسع ، تعتنى بالبيت وترتيبه وهى فى هذه الوحدة لم تشعر قط بالعزلة ولا بالقلق ، فتغذت واستحمت ثم استلقت على فراشها تطالع قصة حتى غلبها النعاس فنامت ...

وبعد برهة استفاقت فاطمة مفزوعة ، على يد خشنة ، غليظة ، تنزل بقوة على صدرها ، وأخرى تشد بذراعيها ، وصوت زوج أختها يقصف كالرعد فى أذنيها :

– الآن لا مفر لك منى .

– لا .. لا تفعل .. سوف تندم ... سوف تسجن ... حرام عليك ... انى مخطوبة !!

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

– أين لك هذا ... لقد فات الاوان وقد اصبحت كالفريسة بين يدي الصياد

صاحت بأعلى صوتها ... طلبت النجدة ... دافعت عن نفسها بكل ما أوتيت من قوة ، وحاولت الهروب من كل جانب ، ولكن بدون جدوى ، فقد ضغط بركبتيه على جسمها وحاصرها محاصرة محكمة ، ثم اعتدى عليها بقوة ووحشية ... وبعد أن فك قيودها وأفتك منها أعز ما تملك ، خرج مسرعا نحو الغابة لا يلوى على شئ ، تاركا ضحية تندب حظها المنكود ...!

أخفت فاطمة على أمها ما حصل لها ، خوفا من وقوع الصدمة عليها موقع الكارثة ، وقررت بأن تصارح بها خطيبتها وتقنعه ببراءتها وعفتها ...!

ولكن – وعشا – حاولت فاطمة مفاتحة خطيبتها فى الموضوع ، لكن الخوف كان دائما يخونها . وان ضعفها الانثوى وحباها الكبير لخطيبتها والتشبث به

جعلها تقتنع أنه سوف يصدقها ويرحمها ، عندما تروى له يوم الزفاف ما حصل لها مع زوج أختها ...

ومرت الايام ثقيلة مريرة ، وقرب زفاف فاطمة ودقت الطبول وأحضرت الحلويات ، وحضر المدعوون وامتلات الدار بالزغاريد ... وفاطمة حزينة تخفى مأساتها على كل الناس ، وزوج أختها متظاهر بالاحسان والطاعة والاعانة .

ولم يبق لفاطمة العروس الا ليلة واحدة في بيت أبويها... لم يغمض لها جفن وغلبها الارق المرير ، فقد خامرها الشك ، وتخيلت كيف سيكون موقف زوجها عندما يفاجئ بالخبر : « سينزعج ... ولن تتغلب عليه عاطفة الضعف والانهازام .. سوف يبكي كثيرا في هذه الليلة ، .. سوف لن يتحمل هذه الصدمة ولن يتحملني ... انه قوى الارادة ... ذو كرامة وعزة نفس ... كيف يسكت ؟ ... كيف يصبر ؟ ... لا ... لا ... يجب ان أرحل ... أن أبقى روحا في قلبه ... وحلما في نومه ، أن ينساني أو لا ينساني الى الابد ... أن يبقى زوجي كريما عزيز النفس ... / »

وگادرت فاطمة البيت خفية وبدون أن يشعر بها أحد ، وأطلقت ساقها للريح والسكون يملأ شوارع المدينة الا صدى خطواتها الى أن وصلت جسر القنال ، فوقفت هنيهة تنظر البحر العميق وقد ارجعتها ذكريات جميلة جعلتها تنطق بدون وعي « الوداع يا دنيا الاحلام ، ثم ألتفت بنفسها في اليم وكانت أجمل عروس زفت الى البحر في هذه السنة .

**آسيا يمن**



## مدينة الشموس الدافئة وإشراقه من الجنوب

« مدينة الشموس الدافئة » رواية أشرقت من الجنوب تأليفا ونشرا ، أما المؤلف ، فهو الاستاذ محمد الباردى الذى خاض غمار القصة القصيرة ، وعرفه قراء السبعينات قصاصا يغرف من الجنوب وواحاته مادة قصصه واشخاصه . ولم تؤثر فيه موجة القصة البهلوانية بالأعيبها وأشكالها الجوفاء بل كان ينظر فى سخرية واستهزاء الى هذا العبث اللفظى ، ويمر عليه مر الكرام ، وقد طالع ما كتبتة هذه الجماعة فرآه مسخا وزيفا وترديدا وصدى لما يرن فى وسط أوروبا من صيحات مبجوحة ملئت أزين المحركات وألوان الترف وأنواع المجون ، فأرادت أن تغير المفاهيم الادبية حبا فى التهديم والتغيير ، وهروبا من السامة والضجر .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

وها هو محمد باردى يقتحم ميدان الرواية ، بعد أن امتلك تقنياتها وقواعدها الاساسية ، وبقي أمينا لاتجاهه ، وهو الواقع التونسى والحياة اليومية فى الجنوب .

والرواية - وهى قصيرة نسبيا اذ لم تتجاوز المائة صفحة من القطع المتوسط - تشدك اليها طيلة تسعين دقيقة أو تزيد ، فتعيش مع أسيرة فى الجنوب التونسى ، يتجاذبها عاملان قويان ، أما أحدهما فهو الماضى فى صفاته وبساطته ، وما يمتزج فى هذه البساطة من زائف الخرافات وباطل التقاليد وسى العادات التى ما أنزل الله بها من سلطان .

وأما العامل الآخر فهو الحاضر الذى تعيشه هذه الاسيرة بما فيه من زحف العلوم والتقنية على مدينتهم العتيقة التى تكونت حولها المعامل والاحياء العصرية والمعاهد الثانوية والعالية ، كما تفشت فى هذه المدينة ظاهرة

التفسيخ الاخلاقي التي لم تكن مألوفة من قبل . بالاضافة الى المشاكل اليومية، والتفكير فى قضايا الوطن والحرية ، ومشاكل العالم السياسية التي أصبحت تهزنا وتؤثر فينا سواء أحببنا ذلك أم كرهناه .

هذا التمزق بين الحاضر والماضى هو محور هذه الرواية ، الى جانب تأرجح الرواية بين مكانين ، وهما فابس مدينة الشمس الدافئة وتونس العاصمة مدينة العلم والنساء ، وذلك على ( فترة ) امتداد سنة ، وهى الفترة التي تستغرقها أحداث الرواية وتتخللها أحداث جانفى النقابية سنة 1978 ، ولكي نفهم القضية جيدا لا بد من التعرف على مختلف شخصيات الرواية وتحليل أدوارهم .

وقطب الدائرة فى هذه الرواية هو عائلة على بن سالم أحد أبناء الولي الصالح سيدي القناوى الذي قاوم الاستعمار الفرنسى « ومات مجرورا وراء بغل راكض ، ولما تعفنت جثته جاء أصحابه ، ففكوا وثاقه ، ودفنوه وبنوا له مقاما ، ومع زمن الظلم واليأس أصبح سيد الاولياء » ( ص 85 ) . وأصبحت له كرامات يرددها أبناء المدينة ويقضون بها سمرهم تشفيا من المستعمر الغاشم ، ويشاء سيدي القناوى أن يحسن أرزاقه على الفقراء والمساكين ، وتبقى أسرته فقيرة معدمة ، ولكنها مع ذلك تقدم له ولما يريده كل سنة عجلا وحضرة واذكارا طيلة ثلاثة أيام .

ويظل سيدي القناوى مسيطرا على الرواية من أولها الى آخر سطر منها . وهو شبح يتهدد الاسرة ويقضى مضجعها ، وخاصة الكبار منهم ، مما يبرز سيطرة الخرافات على النفوس التي رضيت بالعجز والوهن وابتعدت عن الايمان الصادق ، وهو شخص يذكرنا بقصة عمار المعروفى لمحمد العروسى المطوى فى كتابه من طرائف التاريخ ، الذي قاوم الصليبيين فى تونس فى حملة لويس التاسع على تونس ، ولما مات هذا البطل أصبح بمرور الزمن وليا صالحا يزار ( ص 149 ) .

وحق لهؤلاء الاشخاص أن يزاروا لانهم دافعوا عن هويتنا وأصالتنا ولم يبحثوا عن النفع الشخصى ، بل تجاوزوه الى خدمة العموم ، فمن أحب نفسه

فليمت وينسى ، ومن أحب غيره فليخلد ، ويذكر مع الخالدين . الا اننا لا نقف عند جهادهم ونقدسهم ، بل لا بد أن يكونوا منارات على الطريق الذي ينتظرنا . والزيارة لا تعنى الا تخليدهم وذكرهم أما الزيارة الحقيقية فهي غباء وبلاهة .

اما الشخصية الثانية فهي علي بن سالم هذا الشيخ الذي يقف حائرا بين قدم تعيش فى عهد الاستعمار ، والقدم الاخرى فى عهد الاستقلال والبناء الاجتماعى ، فقد قاوم الاستعمار « اذ كان يطلع الجبل فيملا العربى تبنا وحشيشا وتحت التبن والحشيش أسلحة وقذائف ، كان يمر وعندما يدنو الجندرمة يرفع صوته بالغناء » ( 84 ) .

الا أنه بقى محافظا على الوليمة السنوية التى يولمها لسيدة القناوى فيركب عربته المتآكلة ويضع فيها أبناءه وأمه وزوجته والعجل والكلب وراءه ، وهو يغنى المواويل العذبة والاذكار المحببة الى النفس ، وقد حشر الاطفال حشرا فى هذه العربة والزيارة . وبمرور الزمن ينفصل عنه الاولاد شيئا فشيئا فيتوجه الى مقام سيدى القناوى فى آخر الرواية هو وزوجته وابنته ، ويبدو أنه عجز عن الانسجام مع مشاكل العصر فيتفصى من مسؤولياته كأب إذ يترك مصير ابنته فاطمة لولديه .

– يا أولاد أنا كبرت ! العربة هربت ، وكذلك البغل ، أختكم فى ذمتكم وافعلوا بها ما تشاؤون ( ص 94 ) .

أما أمه وزوجته فهما كومتان من الاحساس الجارف ، فان كانت الاولى تقدر وتعبد سيدى القناوى فان الثانية تحترمه وديدها فى الحياة الرضى بالواقع دون محاولة التدخل فى سيره ، فهى لا تبدي معارضة عندما يستقل ابنها الاكبر بالسكنى فى الحي الجديد .

واذا كان هؤلاء الاشخاص يمثلون الجانب الاكبر من الاسرة التونسية التقليدية فان الابناء رغم انصياعهم بحكم الصغر الى الايمان بالخرافات فانهم عندما يصلب عودهم يكفرون بهذه العادات البالية ويتزحزون عنها . فالابن الاكبر عبد الله يواصل تعلمه العالى بتونس العاصمة ، ويتخرج



مهندسا ، وله موقفان فى الحياة عندما كان طالبا كان يؤمن بقيم سامية تتمثل فى العدالة والحرية ، ويطلع فى اثناء الطلب على أفكار جديدة ، ويربط علاقات بطالبات ينادين بالحرية الجنسية باعتبار أن « الحرية وحدة لا تتجزأ والرجعى هو الذى يجزىء الحرية » ( ص 29 ) .

ولمشاركته فى اضرابات الطلبة وتنظيماتهم يلقي عليه القبض . وانطلاقا من هذا الحادث ، يتغير موقفه وخاصة عندما يعين موظفا ساميا فى معمل الاسمنت فيلوذ بالسلامة ويفضل الركون والهدوء والخمر والنساء . وقد استطاع الكاتب أن يصور هذه الشخصية ويتتبعها فى تبدلها من حال الى حال ، وميلها الى الحنوع والدناءة والقيود .

واذا كان عبد الله بن سالم قد خيب ظن والديه فى استقلاله بالسكنى واقباله على التدخين وانتهازه للفرص ، فإن الابن الثانى رشيد ، ولعل اختيار هذا الاسم لم يكن اعتباطيا ، وهو شاب لم يكمل تعلمه الثانوى ، وقد وجدت فيه أسرته الابن البار ، والرجولة الكاملة ، التى تمثلت فى دفاعه عن أخيه عندما أوقفها أبوها عن مواصلة الدراسة بسبب علاقتها مع شاب تجرأ وخطبها من أبيها . وقد أبرز لنا الكاتب انتقاد رشيد لأساتذته ، وبرامج الدراسة ، وعدم إيمانه بما يقوم به أبوه من زيارة لسيدى الفناوى كل سنة وتعنيفه لأخيه الأكبر الذى ينهى عن خلق ويأتى مثله ، وهذا كله تمهيد لما سيأتى بعد.

وهذا الشاب يتغير كليا عندما يقبل على العمل فى أحد المعامل بمدينة الشمس الدافئة ، ولكن هذا التبدل يزيد فى ثراء شخصيته واتساع تجاربه ، فيرى أن الحياة الاجتماعية تختلف عن الحياة المدرسية ، وأن الاولى أغنى وأثرى من أن يقبع فى فصل يستمع الى أستاذ يملا أدمغة تلامذته بأشياء نظرية مجردة لا تسمن ولا تغنى من جوع عقلى . فيشارك رشيد العمال فى اضراباتهم القانونية . ويتصل بالنقابيين وعندما تقع أحداث جانفى 1978 يقبض عليه ، وعند محاكمته يطلق سراحه لبراءته من كل ما نسب اليه .

وتبقى فاطمة « المدينة التى لا بد من فك حصارها » ( ص 95 ) وهى فتاة تنهيا لامتحان البكالوريا . ومنذ البداية يشرنا الكاتب بسخريتها من التقاليد

البائدة . ولكن هذه السخرية لا تتجاوز الهمس كحال المرأة فى مجتمعنا ، الا أنها تتكلم بصوت مسموع مع امرأة مثلها ، وخاصة مع أمها :

« بالله يا أمى هل يرضيك أن نخرج كل عام بعجلنا وكلبنا ونسلك هذه الطريق الطويلة والشمس تحرقنا » ( ص 5 ) وهى تؤمن بعجزها إذ إن اقتناعها وعدم اقتناعها لا يغير من الامر شيئا :

– هل أنت مقتنعة يا فاطمة ؟

– مقتنة أو غير مقتنعة فهل هذا سيغير شيئا ؟ ( ص 15 ) .

وتربطها علاقة مع شاب كانت بين حيه وحى فاطمة عداوة قديمة . وبما أنهما يعيشان فى غير عصر العشائر المتناحرة ينسيان تلك العداوة القديمة ، وتقفز هذه العداوة الى السطح بمجرد سماع الأب بالامر فيقرر فصل ابنته عن المدرسة ويمنعها من الخروج بسبب تلك العلاقة ، الا أن رشيدا يحاول إرجاعها الى المعهد والاقامة فيه .

وبعد محاكمة رشيد ونجاحها فى البكالوريا تفكر فى الهجرة الى الشمال ، الى مدينة العلم والنساء ، وتنسى علاقتها بهشام عبد الستار ، وتتمرد على أنوثتها : « لا تعتبرنى بنتا يا أبى » ( ص 93 ) .

فكان قيمة المرأة لا تكون الا اذا تشبهت بالرجل . هذا من حيث المضمون.

اما من ناحية الشكل فالرواية تقوم على اختيار مشاهد ولقطات من الاحداث التى عاشها أبطال الرواية ، أو إن شئت فقل التجارب التى عرفها الكاتب وشاهدها طالبا وأستاذا .

وقد لجأ الكاتب الى الاعتماد على استرجاع الماضى ، ويبدو أنه بالغ فى استعمال ذلك ، الا أن هذا التداخل بين الماضى والحاضر أضفى على الرواية حيوية وحركية ، اذ يتسنى لنا أن نطلع على التطور والتغيير الذى طرأ على أشخاص الرواية .

وقد وفق الكاتب في انتقاء الاحداث التي تهتم اشخاصه لعلمه ان الرواية تقوم على اعتماد المشاهد المعبرة ، وترك الفراغ ليكملة القارئ ، بالاعتماد على خياله وثقافته .

وقد ألحنا على إبراز الاحداث لعلمنا أن هذا العمل ينتمي الى ما يسمى بالرواية التسجيلية .

فقد اهتمت الرواية « مدينة الشمس الدافئة » بالناحية الفلكلورية التي تتمثل في زيارة أضرحة الاولياء ، والقرايين التي تقدم بهذه المناسبة الى جانب المدائح والاذكار والحضرات التي لا تخلو من أعاجيب وحكايات ، وهذا العمل يقدم لعلماء الاجتماع مشاهد حية عن الزردة في الجنوب التونسي بما فيها من مساويء وحسنات ( ص 12 - 13 ) .

اما الناحية الثانية فتتمثل في الاهتمام بقضايا العمال ، وما أحوجنا الى أدب عمالي يتغنى بالعمال ويصور آلامهم وآمالهم ووعيهم بمشاكلهم ، فلقد أصبح العمال والكادحون بالساعد والفكر واقعا يتجاهله الكتاب ويقفون منه موقفا سلبيا يتنافى مع ما نادى به الرواد أمثال محمد علي والطاهر الحداد وفرحات حشاد . وقد اهتمت هذه الرواية بهذا الجانب فبرزت جهود العمال وكفاحهم من أجل حياة أفضل ، وان اقتصررت على حدث عارض واكتفت بتسجيله في نطاق ضيق .

اما الناحية الثالثة فهي اهتمام الكاتب بالحياة الطلابية ، وتقديم جانب من حياتهم في لهوهم وجدهم وانشغالهم بقضايا هامة لا تقتصر على المحيط الضيق بل نتعدها الى معاني الانسانية والعالمية ، وهذه هي المرحلة المثالية ، ثم يتجاوزون ذلك الى الناحية الواقعية ، فعندما يتحصل عبد الله على مبتغاه يتحول الى عرييد وفاسق وينسى ماضيه وعائلته ، ويقطع كل صلة بأفكاره القديمة وبآمال عائلته فيه .

والناحية الاخيرة تتعلق بالطرق التربوية المتبعة في مدارسنا الثانوية ، وخاصة في تدريس الادب العربي ، ولا غرو فالمؤلف استاذ في اللغة والآداب العربية بالمعاهد الثانوية .



وبالإضافة الى ذلك فان هذا العمل الادبي يثير قضايا كثيرة وكبيرة في أسلوب لا يخلو من طلاوة وعذوبة . الا أنها كبقية الروايات في تونس تمتاز بالقصر وعدم التوسع في التحليل وتعقيد الاحداث وتشابكها ، وبالنسبة للقصاص محمد الباردى فهذه القضية تعتبر تجربته الاولى في الميدان الروائي . واول الغيث قطر ثم ينهمر .

**علي العربي**



## الرحلة

ما إن وصلت الحافلة حتى ركبناها مثل الأسهم .. لأنه اتضح منذ البداية أنها بدون فرامل .. وكنا شديدي الفرح لذلك .. عكس أمهاتنا اللاتي أتين لتوديعنا .. فقد كن شاحبات الوجوه مظهرات اضحكة مصطنعة .. الامر حيرنا .. ولكن الذي أدهشنا حقا هو صورة أمهاتنا التي لم تفارق شبابيك الحافلة .. وكأنهن كن مشتركات معنا في الرحلة .. بيد أنه كانت تسقط من حين لآخر صورة أم أو اثنتين .. فنسمع نشيج بعض المسافرين ليس خوفا من مصير الحافلة التي بدون فرامل بل ؟! ..

وأمعنت الحافلة في الطريق سرعة أكثر .. فرقصنا .. وصفقنا والكبار في أول الحافلة يتصايحون !! ولكن الحافلة التي كانت تسير ببطء ينرفز جعلتنا نغنى في طرب وبدون أن نشعر :

« سائقنا الجميل ...  
<http://Archivebeta.Sakhril.com>  
 أسرع بنا قليلا ... »

فامتثل السائق لاقتراحنا ، أو هكذا خيل إلينا ... وكثر نشيج الاخوة الذين تغيب صور أمهاتهم دون أن يهتم بذلك السائق ... ودخلنا في الطريق أكثر .. ولكن فجأة .. وفي منعطف ، ارتطمت الحافلة بحمار !! فصاحت بعض الفتيات فزعا .. وضحك بعض المسافرين من هذا المنظر .. بينما واصلت الحافلة سيرها بسرعة أكبر ..

ونظرت ورائي .. فوجدت نفسي قد انتقلت من آخر الحافلة الى منتصفها .. ذلك المكان الذي كنت أتمنى الوصول اليه لأن حرية الابلاغ الرأي كانت فيه أكثر .. هذا أولا .. أما ثانيا وهو المهم .. فلكثرة الجميلات به .. ووقع اختياري على أحسن فتاة أعجبتني .. فتصادقت معها .. وصادقتني .. ثم تطورت صداقتي الى حب برى .. وكانت صورة أمي لا تزال بالنافذة .. فنظرت اليها أستشيرها .. وكم كانت فرحتي كبيرة حين رأيت أمي وأمها

يتعانقان .. فاقتربت مني الفتاة .. واقتربت منها .. وأصبحنا روحا واحدة  
 فى جسدين .. وعندها فقط تذكرنا أن الحافلة بدون فرامل وهى تطوى الارض  
 طيا بينما كنت والجماعة التى بجانبى نغنى : « يا سيدى محلالى عرسو .. » .

وأصبحت الحافلة تسير بسرعة أكبر .. وكل المشاركين مدعورون من هذه  
 السرعة .. ففى التانى السلامة .. تقول بعض إشارات المرور .. بينما هذا  
 السائق يطوى بالحافلة الارض طيا وهو يكاد يطير من كرسيه لكثرة الضحك  
 الذى انتابه حين أحس بذعرنا .. وأمعن فى السرعة أكثر .. وهو يقول :  
 « لا تؤجل عمل اليوم الى الغد » وسقط بعض الركاب خارج الحافلة .. ومنهم  
 من رأيناه شديد الفرح لنجاته .. ومنهم من شاهدناه يبكى بكل حرقه على  
 فراقنا .. بينما كنا مع ذلك فى حافلتنا نغنى ونضحك .. وكأنه ليس هناك  
 ما يزعج .. وأعاد الصغار الذين كانوا فى آخر الحافلة ..

« سائقنا الجميلا ... »

أسرع بنا قليلا ... »

ونظرنا اليهم فى شفقة .. ولكن أحسنا بارتطام الحافلة .. فنظرنا  
 نستفسر الامر .. وإذا بها قد ارتطمت فى منعطف حديد ، ببغل .. وأردته  
 قتिला .. فضحكنا من الجثة أولا .. ومن السائق ثانيا . والحافلة تجرى دون  
 توقف .

وواصلت الحافلة طريقها وأنا شديد الفرح برفقة تلك الفتاة التى أبعدت  
 عني الكثير من هواجس التخاذل .. بينما كنت والجماعة نردد أغنية ..  
 الفلاح .. والحداد .. والنجار .. و .. و .. وفجأة ارتطمت الحافلة مرة  
 أخرى وإذا بها قد داست فرسا أبيض اللون .. فكانت النتيجة ليست  
 كسابقتها .. لأن الركاب لم يضحكوا هذه المرة بل تأسفوا كثيرا .. الى حد أن  
 بعضهم بكى .. لأن الفرس كان شديد الجمال .. بينما واصلت الحافلة طريقها  
 بسرعة أكبر ..

ولاحت لى منطقة الوصول فطلبت من السائق التخفيف فى السرعة ..  
 ولكنه نظر الى بازدرء .. ثم أدار وجهه ليضحك ضحكة هستيرية ويمعن فى  
 السرعة أكثر .. والحافلة تجرى ..



وأحسست بألم كبير فى صدرى .. فطلبت من السائق أن يتوقف قليلا خصوصا أن مكانى فى الحافلة قد أصبح قريبا منه ولكنه ضحك منى ضحكة أكثر اشمئزا مقويا فى السرعة أكثر .. فأحسست بألمى يتضاعف .. ولكنى تماكنت عن الغضب لأن منطقة الوصول قد لاحت لى أقرب .. والحافلة بدون فرامل ، فكيف سيكون وقوفنا يا ترى ؟؟..

وواصلت الحافلة طريقها وأنا ومن بجانبى نردد أغنية : «كان يا ما كان...» بينما كان بقية الركاب يرددون أغنيات مختلفة . وارتطمت الحافلة مرة أخرى .. وإذا الجثة كلب !.. فضحكنا ضحكات هستيرية بصوت عال ... والحافلة تجرى .. وهى بدون فرامل .. فكيف سيكون وقوفنا بعد هذه الجثث يا ترى ؟؟..

يوسف عبد العاطي

1980 / 12 / 19



## مستقبل القصة التونسية

تمهيد :

تلاقى القصة التونسية الحديثة ذات الاتجاه الملتزم عديدا من المشاكل والعراقيل لان اصحابها يساهمون مع بعض الفنانين الاصليين فى التصدى للثقافة الرسمية السائدة بالنقد ويكشفون عيوب المجتمع الذى يعيشون فيه وبفضحون الاستغلال وينددون بالاستعمار الجديد ويسعون الى نشر قيم صحيحة ثابتة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالعالم العربى الاسلامى وبحركات التحرر فى العالم فهم اذن يحاولون التأثير فى مسيرة البلاد لا العيش على هامش التحولات الحضارية .

فى هذا الاطار سنحاول التطلع الى مستقبل القصة الملتزمة للبحث عن المشاكل التى تعانى منها ولتصور بعض الحلول والعلامات المضيئة .

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

الجو الثقافى :

تمجد الثقافة الرسمية النظام الحاكم وتدافع عن اختياراته الاساسية وتدعو المواطنين الى تأييده وتحاول فى بعض الاحيان الترفيه عنهم او تقدم لهم اعمالا موسيقية على انها تمثل الفن الشعبى الاصيل ؛ وتصرف فى هذه الميادين الاموال التى تخصصها الميزانية كل سنة لوزارة الشؤون الثقافية التى تحيل بدورها قسطا منها للجان الثقافية المحلية . مما مكن عديدا من المثقفين الوصولين من ترويج بضائعهم ببسر وسهولة ومن الحصول على مراكز ادارية هامة .

كل هذا جعل المواطنين وخاصة منهم الشبان اما يتعودون على تلك القوالب الجامدة او يقاطعون كل ما يمت الى الثقافة الرسمية بصلة .

لكن لا ننكر أنه يوجد حاليا فى البلاد فنانون أصيلون ملتزمون بقيم أصيلة يسعون رغم العراقيل والمشاكل الى الثقافة البديلة التى لها ارتباط متين بالاشتراكية والتقدمية والعروبة والاسلام والعدالة والاجتماعية الا انهم يعملون

فى جو من الحصار والاضطهاد اذ تسعى المصالح الادارية الى عرقلة مسيرتهم  
بشتى الوسائل ؛ فمرة بالاغراء والوعود المادية لجلبهم من صف المعارضين الى  
صف المؤيدين فيصبح البعض منهم بين يوم وليلة رئيس مصلحة فى ادارة  
ومرة أخرى ينقلون من مراكز عملهم الاصلية الى اماكن نائية ومرة ثالثة  
يطردون من مهنتهم ويتعرضون لكثير من أنواع الاضطهادات والاهانات . وفى  
أغلب الاحيان تمنع آثارهم الفكرية من الرواج ما دامت لا تتماشى والمسيرة  
السياسية .

اذا أردنا للثقافة الجيدة ان تتقدم فلا بد من احترام المواطنين فى كرامتهم  
وتفكيرهم وحرية تعبيرهم ومن فسخ المجال واسعا أمام التيارات الفكرية  
للتعايش فى اطار من الديمقراطية الصحيحة . فليست الثقافة احتكارا لفئة  
من الفئات او طبقة من الطبقات او قوة من القوى المسيطرة فى البلاد بل هى  
على العكس ملك وطنى يتمتع به كل المتساكنين فى البلاد وخاصة منهم الذين  
يمثلون الاغلبية .

ولهذا فلا بد من اعادة النظر فى الاختيارات الثقافية فى البلاد ومن ضبط  
برامج كاملة يساهم فى ضبطها وتنفيذها الوطنيون لا أفراد قلائل وبعد ذلك  
توزع الاموال المخصصة لهذا القطاع على الجهات توزيعا عادلا .

وحتى ان لم يتوفر الجو الثقافى الملائم فلا بد من العمل المتواصل والاصداع  
بالرأى الشريف فالحرية تفتك ولا تمنح كما هو معروف وكما يتم ذلك فى  
الاراضى الفلسطينية المحتلة وبلدان امريكا اللاتينية المضطهدة .

### التنشيط الثقافى :

ان التنشيط الثقافى مركزى وكثيف فى العاصمة أما فى بعض المدن الكبيرة  
فخاضع لاختيارات رسمية ولا يتماشى مع رغبات المواطنين يكاد يقتصر على  
الموسيقى التى يدعى اصحابها انها شعبية او على السلامة التى حادت عن  
طريقها الاصلى او على الاستعراضات التقليدية التى لا علاقة لها بحاضر البلاد  
ومستقبلها .



أما فى القرى والارياف فنجد احيانا التجهيزات والمباني وبعض القاعات المؤثثة لكن ينعدم النشاط وتقل الاعمال ويبتعد الشبان عنها . وسبب هذه المقاطعة هو انهم لا يجدون ما يلبى رغباتهم خاصة وهم يعانون من مشاكل البؤس والفقر والتخلف والبطالة .

وحتى تدب الحياة فى تلك الهياكل الفارغة لا بد من توفر بعض الشروط منها توفير الشغل والمسكن والكرامة واعطاء الحرية للمواطنين حتى يختاروا الانشطة الملائمة ويسطروا البرامج التى يرغبون فيها ويساعدوا المنشطين الاكفاء على انجازها .

ولا بد كذلك من توفر قانون يحمى المثقفين والمنشطين وكل من يبدى رأيا مخالفا حتى لا تمارس عليهم انواع من الضغط والمراقبة والتحقيق والتتبعات العدلية كلما حادوا عن الاتجاه الرسمي .

ويمكن للبلديات التى هى نظريا منتخبة انتخابا ديموقراطيا أن تحتضن تلك الانشطة كما يمكن للاتحاد العام التونسي للشغل أيضا ان يلعب هذا الدور أو لبعض الهياكل التابعة للمؤسسات العمومية او الخاصة على شرط ان تكون مستقلة .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

وفى هذا النطاق تستطيع مختلف الفنون مثل المسرح والقصة والشعر والرسم والسينما ان تتعايش وتتفاعل فيما بينها وتزدهر .

فيلتقى الفنانون مصحوبين بأعمالهم بالمواطنين فيتناقشون ويتحاورون ؛ فتزول المفاهيم الخاطئة وتدعم المفاهيم الصحيحة ويقيم الانتاج فيحتفظ بالجيد منه وي طرح الرديء

### الكاتب القصصى :

يتحمل بدوره نصيبا كبيرا من المسؤولية فى تخلف القطاع الذى ينتج فيه ؛ فكثير من القصاصيين ( اى كتاب الرواية او القصة القصيرة ) لا تتوفر لديهم الوعي التاريخى والسياسى ومعرفة المصطلحات القصصية والاطلاع على أهم ما ظهر من انتاج عربى او عالمى قديما وحديثا .

فالموهبة لا تكفى وحدها بل لا بد من وعى واضح تتبعه ممارسة يومية حتى اذا ما برز الانتاج ظهر ذلك الادراك من خلال المعانى المطروقة والاساليب المختارة ، فكثيرا ما يطلق اسم الكاتب على شخص والاصح ان نسميه كاتباً رسمياً أو وصولياً .

فالغاية من الكتابة الحقيقية ليست التلية والترفيه عن النفس بل هي انتاج بديل ثقافى يساير تحول البلاد التاريخى ويغير من مجرى الحياة فكريا وفنيا ولا يتأتى ذلك اذا لم يكن الكاتب واعيا بوظيفة الكتابة وقواعدها وأصولها .

أما الاهتمامات والمواضيع الممكنة الكتابة فيها فليست التمجيد لما هو موجود والاضحاك المجانى أو الحكايات العاطفية المبتذلة أو الوعظ والارشاد أو الثثرة أو الضياع أو اليأس والتهيان بل الحديث عن أنواع الاستغلال التى يتعرض اليها البسيط . فى حياته اليومية يلتقطها الكاتب بحسه وادراكه ويكتب حولها اثرا فنيا : مثل مشاكل العامل فى المصنع أو الورشة والفلاح فى الحقل والتلميذ فى المدرسة والشارع والمهاجر فى بلاد الغربة والنازح فى المدينة وقائمة المواضيع طويلة جدا لا حده لها لانها مستمدة من الحياة التى تتجدد باستمرار يختار منها الكاتب واحدا وينشئ حوله أثرا فنيا مرتبطا بالواقع وممزوجا بالخلق ومحبوكا بالاسلوب الفنى الممتاز لا تعقيد فيه ولا زخرفة زائدة كأن يختار من التراث والتاريخ أحداثا لها صلة بالواقع أو يتحدث عن المستقبل حسب رؤيته فيعبر الكاتب بذلك عن موقفه من مشكل اقتصادى أو اجتماعى أو فكرة تهم الواقع الذى يعيش فيه أو أحد مشاكل بلدان العالم الثالث عامة . وبذلك يساهم فى إبراز الوجه الآخر من المجتمع الذى يسدل عليه عادة ستار كثيف وأقنعة عديدة تروجها وسائل الاعلام .

ولا يكفى انتاج او كتاب واحد بل لا بد من الاستمرار والمواصلة وطول النفس وعدم التوقف عن الكتابة مهما جرى لا كما يفعل جل كتابنا الذين ما ان يظهر لهم اثر مطبوع حتى يسكتوا فتخسرهم الحياة الثقافية .

### النشر :

تحظى القصة القصيرة فى بلادنا باهتمام كبير من حيث النشر فتطبع على صفحات الجرائد والمجلات وضمن كتب بكميات لا بأس بها ، لكن الكم وحده

لا يدل على ازدهار هذا القطاع . فالاعمال التى تعالج قضايا مصيرية وتمتاز فى نفس الوقت بالابداع الفنى قليلة وقليلة جدا يمكن ان نعدّها على أصابع اليد الواحدة والاسباب متعددة .

فمؤسسات النشر ووسائل الاعلام يشرف عليها اشخاص هدفهم الاساسى الدفاع عن الاختيارات الرسمية والربح المالى وعرقلة كل اتجاه اشتراكى تقدمى ، فيبعث الكتاب الاصيلون مخطوطاتهم الى دور النشر الحكومية فتبقى فى الرفوف سنوات عديدة ثم ترجع الى اصحابها مصحوبة بكلمة اعتذار حول عدم امكانية الطبع لكثرة الاعمال بينما التفسير غير ذلك ، أو يذهب الكاتب بنفسه الى دار النشر خاصة ومعه مخطوط فاذا قبل صاحبها مبدأ التعامل معه كان عليه أن يتحمل كل نفقات الطبع التى تتراوح عادة بين نصف مليون ومليون مليم حتى يبقى صاحب المؤسسة فى مأمن من الخسارة المالية ان حجز الكتاب اثر النشر او لم يوزع كما ينبغي .

وحتى اذا صدر الاثر ولاقى رواجاً بين الناس يربح كل الاطراف الا المنتج الذى لا يتحصل من العقد الا على نسبة مئوية قليلة جداً نظرياً ، واذا ذهب للمطالبة بحقه المشروع أجبر على الدخول فى مجالات وخصومات عديدة يهان خلالها ويعامل كأنه متسول جاء طلباً للاحسان <http://www.archive.org>

دفعت هذه الحالة بالكتاب الى الصراع أول الامر لاثبات أثرهم الاول على الساحة الادبية فخرجت بعض الكتب الى الناس بل أعيد طبعها أحيانا مرات عديدة وامتلات جيوب الآخرين على حساب الكتاب فلما تيقنوا من الاستغلال الفاحش الذى يتعرضون اليه انسحبوا وبقيت آثارهم الموالية فى رفوفهم تنتظر الظروف الملائمة للنشر .

هذا وان القاء نظرة سريعة على القوائم التى تصدرها دور النشر الرسمية والخاصة يبين لنا المكانة الكبيرة التى تحتلها كتب التراث والكتب المدرسية وبعض كتب الاطفال وآثار الرسميين من الكتاب بينما لم يقع تخصيص سوى مكانة ضئيلة جداً للابداع الفنى الجيد .

وقد كون بعض الكتاب فى الآونة الاخيرة فى العاصمة وبعض الجهات مؤسسات نشر صغيرة الحجم مثل التعاونية أو التعااضدية يساهم فيها



الكتاب ببعض الاموال لتكوين رأس مال ثم يطبعون بواسطتها اثارهم بالتداول وهذه التجربة جديرة بالعناية والدرس .

كما أن هنالك مشكلا آخر لا يقل قيمة عن النشر وهو مشكل التوزيع الذى يحتاج لدراسة عميقة أيضا فكما نعلم توجد مؤسسة دولية تروج الكتب والمنشورات داخل البلاد وخارجها . لكن رغم ما تقوم به من أعمال لفائدة البضاعة الجيدة والرديئة ما زال الانتاج التونسى محاصرا لا يخترق حدود البلاد التونسية ولا يروج فى الخارج الا نادرا أو فى بعض المناسبات مثل المعارض أو الايام الثقافية التونسية فبعض الدول العربية مثلا ترفض التعامل معنا ثقافيا لانها تطبق اختيارات سياسية مخالفة لما يوجد حاليا فى البلاد .

ان النشر فى الوقت الحاضر يعانى من مشاكل فكرية وتنظيمية ولا بد من دراسته دراسة عميقة على النطاق الوطنى وحتى العربى حتى يخدم آثار الفنانين الاصليين وحتى يساهم فى تحريك الحياة الثقافية فى الاتجاه السليم وحتى يمكن الشعب من ثقافة وطنية تقدمية هو فى أشد الحاجة اليها .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

### النقد :

وحين يتمكن الكاتب الاصيل من نشر عمل جيد وفى مستوى رفيع فان النقد فى بلادنا لا يقف بجانبه ولا يسانده بايراز مواطن الضعف ليتجنبها ومواطن القوة والابداع ليدعمها . فانا نجد حاليا أنواعا متعددة من النقد لعل أهمها نقد الجرائد والمجلات اليومية وهو يتسم بالتعريف السريع بالآثر وبالسطحية ، ونقد الاطراء والمجاملة الذى يقوم به الناقد للاطراء على الاصدقاء والمعارف ، والانتقاد الهدام الذى يقف أصحابه فى وجه كل انتاج جديد فيه خروج عن القواعد المتعارفة ، وأما الموضوعى المنهجى النزىه الذى يخضع لمقاييس علمية ويظهر فى مناسبات قليلة ونادرة وهناك نقد الدراسات الجامعية الذى ما زال جله مرقونا ومحفوظا فى الكليات ويتعلق بجيل الكتاب الماضى .

هكذا يظهر الانتاج الجيد فى هذا الاطار فيضيع فى خضم الكتابات الرديئة ولا يتعرف عليه القراء كما ينبغى لانهم يوجهون توجيهها خاطئا لاقتناء الآثار الرديئة .

## القراء :

ان دورهم كبير جدا فى ازدهار القصة الجيدة او الاثر الفنى الملتزم وبالمواقف التى يتخذونها فالمطلوب هو بذل مجهودات كبيرة لتنظيم الاوقات حتى لا تطفئ علينا الوسائل الحديثة من تلفزة وسينما وجرائد وغيرها وتخصيص وقت للمطالعة وتوجيهها الوجهة التى نرغب فيها فلا نترك مجالاً للقصص الترفيحية المخدرة او الآثار التى تروج أفكاراً خطيرة بل نختار الجيد ونحاول قراءته وفهمه ومعرفة الاتجاه الفكرى الذى اختاره صاحبه .

ونشير فى هذا المجال الى ان القصة او الرواية قد تحضيان بانتشار واسع ورواج كبير اذا تم اخراجها فى شكل مسرحية او شريط تلفزى أو سينمائى كما وقع لبعض الآثار مثل قصة عبد القادر بن الشيخ حين اخرجها ابراهيم باباى الى فلم بعنوان «وغدا» .

وبذلك لا يحرم الاميون والعمال من الآثار الجيدة .

هكذا نتبين ان ميدان القصة يعانى من عديد من المشاكل والصعوبات حاولنا التعرض الى بعضها باختصار والتلميح الى بعض الحلول المناسبة لها . كل ذلك انطلاقاً من وجهة نظر شخصية واحدة

لكن التغيير والاصلاح لا يتمان اثر دراسة او ندوة او نقاش بل لا بد من اختيارات جماعية على النطاق الوطنى ومن أعمال ودراسات عميقة يقوم بها المثقفون الوطنيون التقدميون وكل من يهمه الامر بمعنى الشعب عن طريق عملية وهكذا تضبط الحلول وتبويب وتخطط على سنوات .

لكن من الحلول الآجلة التى يمكن الاحتفاظ بها : ضرورة تنشيط ثقافى وطنى تقدمى ومتواصل يساهم فى نشر ثقافة بديلة وذلك فى اطار هيكل ثقافى قانونى اما مستقل أو ملتزم ثم لقاءات وندوات ودراسات موضوعية ونقد بناء رغم كل العراقيل والصعوبات .

وهكذا فالطريق الوحيد الذى ينبغى ان يسير فيه المثقفون الاصيلون هو الانتاج المتواصل والعمل الجماعى والامل فى المستقبل .

**بوراوى عجينة**

1981/5/29